



سهام الدريسي



قضايا المنطقة العربية

في استطلاعات الرأي الغربية والعربية



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات

Strategic Fiker Center for Studies

المحتويات

4	المقدمة
9	المبحث الأول: استطلاعات الرأي العام: مؤسسات ومرجعيات صناعة الرأي
9	الصبغة العلمية الإحصائية لقياس الرأي العام
18	استطلاعات الرأي العام آلية لإنتاج المعرفة حول «المجتمعات»
26	تاريخية اهتمام الرأي العام الغربي بالمنطقة العربية
36	المبحث الثاني: قضايا المنطقة العربية في ضوء استطلاعات الرأي العام العربية
36	الرأي العام الأمريكي تجاه قضايا التدين والإسلام حسب استطلاعات مؤسسة ييو
42	الرأي العام الأوروبي والأمريكي تجاه قضايا المهاجرين واللاجئين حسب استطلاعات مؤسسة ييو
48	الرأي العام الغربي تجاه الصراع الإسرائيلي الفلسطيني
51	المبحث الثالث: قضايا المنطقة العربية على ضوء الرأي العام العربي
51	الرأي العام العربي تجاه قضايا الديمقراطية وأنظمة الحكم حسب استطلاعات المؤشر العربي
52	الرأي العام العربي تجاه القضايا الاقتصادية والاجتماعية حسب المؤشر العربي
57	الاستنتاجات
67	الخلاصة
69	المراجع
69	أولاً: المراجع العربية
70	ثانياً: المراجع الإنجليزية

المقدمة

تتحكم استطلاعات الرأي بشكل متسارع في أنماط إنتاج المعرفة حول المجتمعات، فهي تستنطق بمقاربات منهجية ونظرية متقدمة الرأي العام حول قضاياها دون التخلي عن ديناميات القوة المستترة في آليات عملها أو منطلقاتها أو أهدافها. تحظى قضايا المجتمع الإسلامي باهتمام مؤسسات سير الآراء العالمية والعربية لتمثل المواقف والسلوكيات وتقديمها بشكل حيادي-موضوعي، ثم تحليلها بشكل نقدي ومتنوع من طرف مختلف الفاعلين المهتمين (الأكاديميين/ الإعلام/ مراكز التفكير/ صناع القرار..). لذلك تعدّ هذه الدراسة البحثية، في إطار السياقات الإقليمية والدولية المتغيرة، محاولة لدراسة استطلاعات الرأي من منطلق السؤال التالي: ما توجهات الرأي العام التي تنتجها استطلاعات الرأي العربية والغربية حول المنطقة العربية وشعوبها ما بعد 2011؟

تحظى استطلاعات الرأي بخصوص المنطقة العربية وشعوبها (المهاجرين..) بتزايد مستويات مأسستها في دوائر إنتاج المعرفة الأمريكية والأوروبية، وحالياً العربية-المحلية. فقد دفع الحراك الاحتجاجي لما بعد 2011 مفهوم الرأي العام إلى التداول الإعلامي والعام في المجتمعات العربية، تأكيداً لتأثير مواقف الأفراد والمجموعات باختلافاتها في سياسات الدولة.

على الرغم من ضبابية المفهوم وعدم اكتمال أدبياته أو معايير قياسه أو تفكيك أجزائه (المستفيدون/ أهداف الممولين..). فإنه أصبح في الذهنية الشعبية-المشتركة يتماهى مع الوعي الجمعي أو الإرادة العامة. كذلك، أصبحت استطلاعات الرأي العام تتبوأ مكانة متقدمة ورئيسية في مجال الاتصال السياسي عالمياً، بجانب

أهميتها المحورية في إنتاج المعرفة، فمن خلالها يبنى صناع القرار علاقات تواصل وتشابك مع مواقف المواطنين وآرائهم، إذ تحمل نتائج الاستطلاعات رسائل جديدة بالتفكير للسياسيين وواضعي السياسات العامة، فهي تعكس الرأي العام وردود الفعل الشعبية والجمعيّة حول القضايا المعاشة والراهنة.

ونظراً لما تبيّن من قوة تأثير استطلاعات الرأي في فترة الانتخابات أو السلوك السياسي لصناع القرار، أصبح من المهم التعرف على الديناميات المحركة للرأي العام الغربي والعربي تجاه المنطقة العربية، رغم تعقيدات هذه التوليفة بين المتغيّرين. إذ تمكّنا هذه التوليفة، المبنية على فرضيّة اللاتماثل بين ذهنيات الذوات الاجتماعية الغربية والعربية، من تمثّل/فهم مبدئي (لكنه عميق) لقضايانا الراهنة من خلال ثقافة الآخر وثقافة الذات.

تعدد مناهج تحليل نتائج استطلاعات الرأي بحكم تنوع زوايا النظر وأشكال توظيف المعطيات، لذلك تسعى هذه الدراسة إلى رصد خريطة تطوّرها وبعض قواعدها الإجرائية، من ناحية أولى، وفهم أولويات اهتمامها ومجالات إنتاج المعرفة حول الشعوب العربية، من ناحية أخرى. والحقيقة أن التوليف بين مختلف هذه المحاور البحثية، بالإضافة إلى الحرص على التعرض لبعض النماذج التحليلية، يجعل هذا الدراسة البحثية تحدياً في حدّ ذاتها.

تنطلق الورقة البحثية من الادعاء بتفاعل الرأي العام مع ديناميات السياق السياسي والتحوّلات التاريخية المتعلقة بالمنطقة، بمعنى أن استطلاعات الرأي ترصد توجهات الرأي العام بخصوص القضايا التي تشغل صناع القرار والمواطنين. كما أنها تهدف إلى تفسير وتحليل توجهات الرأي العام العربي والغربي المتعلقة بقضايا المسلمين أو المنطقة العربية خلال هذا العقد الأخير.

ولئن طوّرت بعض الدول الغربية، مثل الولايات المتحدة الأمريكية، أنساق إنتاج المعرفة والمشاركة المواطنة من خلال استطلاعات الرأي كتقاليد مترسخة ضمن منظومتها الديمقراطية والفكرية، فإن «الرأي العام»، بصفته مفهوماً مستحدثاً، صار ذا أهمية متزايدة في الخطاب السياسي والشعبي-العامي في المنطقة العربية فقط ما بعد 2011.

في السياق العربي (الإقليمي والمحلي) انتشرت مؤسسات سبر الآراء ولقيت استطلاعات الرأي، بكل مجالات اهتمامها (إعلام/بطالة/انتخابات/شعبية القيادات السياسية/رضا عن الحكم الحكومي/قضايا إقليمية/تديّن/حقوق وحرريات)، إقبالاً من المتلقي العادي ودوائر صناعة القرار؛ من جراء الوعي الجمعي بقوة تأثير المواقف الشعبية ما بعد 2011 (إسقاط أنظمة وتغيير سياسات تحت شعارات «الشعب يريد»).

كذلك، تلقى المنطقة العربية استقطاباً لمؤسسات سبر الآراء الأجنبية (صحف/مؤسسات بحثية..). منذ الضربات الإرهابية في 11 سبتمبر/أيلول 2001، حيث عرفت استطلاعات الرأي حول المسلمين طفرة؛ بهدف استكشاف التيارات والقضايا الكبرى الحاكمة للمجتمعات المسلمة، من ناحية أولى، والتعرّف على المزاج العام للمواطن في الدول الغربية تجاهها، من ناحية أخرى¹.

وقد تفاعلت مختلف الجهات المهتمة، سياسياً أو إعلامياً أو جيوسراتيجياً، بالمنطقة العربية مع التطوّر السريع لسوق استطلاعات الرأي الذي أصبحت معطياته ونتائجه ذات أهمية حيوية

¹ ياسر الزعتر، ما مصداقية استطلاعات الرأي في العالم العربي؟، صحيفة الخليج الجديد، 8 نوفمبر/تشرين الثاني

للسياسات الخارجية وصناع القرار الغربيين على وجه الخصوص. كذلك، يجدر بالذكر أن التعاطي البحثي مع موضوع استطلاعات الرأي حول المنطقة العربية يدفع ويشجع للقطع مع حالة اللامبالاة المنتشرة أو الاعتقاد السائد بأنها مجرد «رفاهية معرفية».

تمثل استطلاعات الرأي حول المنطقة العربية امتداداً لسيرورة بناء المعرفة حول شعوبٍ لطالما كان تقييم سلوكياتها ودراساتها من زاوية نظر استشراقية ثم استعمارية وما بعد كولونيالية، وقد خلقت ثورات/انتفاضات الربيع العربي لحظة تحوُّلية في وعي دوائر صناعة المعرفة بخصوص المنطقة العربية أو شعوبها، التي تأثرت بالضرورة بسياقات تغيُّر الأنظمة السياسية وتزعزع ديناميات القوَّة التقليدية. وقد أسهم الانفتاح السياسي والميداني أمام استطلاعات الرأي في إعادة بلورة المعرفة حول المنطقة العربية لدى المؤسسات الغربية والعربية في ذات الوقت.

تستأنس هذه القراءة البحثية للرأي العام بخصوص المنطقة العربية باستطلاعات الرأي التي أصبح العديد من المؤسسات البحثية وسبر الآراء المختصة دولياً تتولى تمويلها وتنظيمها ونشر نتائجها. ومن أبرز المؤسسات الغربية التي تقود استطلاعات الرأي العام حول قضايا المنطقة العربية أو المسلمين مؤسسة بيو (PEW) الأمريكية، التي تهتم، على وجه الخصوص، بتقديم سبر لآراء حول الإسلام، والاندماج في المجتمعات الغربية، بالإضافة إلى مسائل الإرهاب والتديُّن. كذلك، بدأت مؤسسات أخرى ذات اشعاع دولية تتموقع في مجال استطلاعات الرأي، مثل «باروميتر العربي»، حيث تهدف إلى تحليل ورصد آراء الشارع العربي بخصوص قضايا المنطقة وعلاقات شعوبها بالمسائل الإقليمية والدولية. وقد عرف الباروميتر العربي نشاطاً ملحوظاً ما بعد

2011، حيث وظف الانفتاح السياسي وموجة التحولات السياسية والحراك الاجتماعي بالمنطقة العربية لإجراء استطلاعات شديدة التنوع وذات محددات منهجية دقيقة. وهناك - بالتأكيد - العديد من المؤسسات البحثية أو الصحفية الأخرى؛ مثل بروكينغز ومؤشر الرأي العربي، التي قادت استطلاعات رأي حول قضايا المنطقة العربية.

المبحث الأول: استطلاعات الرأي العام: مؤسسات ومرجعيات صناعة الرأي

الصبغة العلمية الإحصائية لقياس الرأي العام

أ. الخلفية المفاهيمية لاستطلاعات الرأي العام

بقدر ما يكتنف الدلالات المفاهيمية المكوّنة للرأي العام من ضبابية وعدم اكتمال التعريفات، بقدر ما تستوعب ضمن طرق بلورتها واستخلاصها بعداً تجريبياً-تطبيقياً. المفارقة هي أن استطلاعات الرأي تقدم فعلياً تفسيرات للمواقف المشتركة أو المزاج العام للمجتمعات على الرغم من أن أدبياتها ما زالت غير مكثفة بذاتها لشدة تقاطعها مع دراسات الإعلام والعلاقات الدولية والعلوم الاجتماعية². ولكن نجد- وبخلاف الانقسام الأكاديمي حول التعريف أو ضبايته- توافقاً حول اعتبار الاستطلاعات أو سير الآراء آلية أو أداة لتجميع المعلومات حول مواقف مجموعة معينة ومحددة من الأشخاص تجاه مسألة بذاتها. فعملية تجميع المعطيات أو الآراء تكون من خلال طرح جملة من الأسئلة (غالباً إجابتها نعم/لا.. إلخ) بطرق مضبوطة ومنظمة ومتناسقة مع الموضوع، فهي نظرياً تستلزم معايير علمية ومهنية وأخلاقية مثل الحياد والنزاهة والدقة والاختصار³.

وحفاظاً على السمة العلمية للاستطلاعات ونتائجها تعمل مؤسسات سير الآراء على الاختيار الذكي للعينة المستهدفة بشكل غير اعتباطي، كالاختيار الجندري أو العمري أو الجغرافي

² Jelke Bethlehem, Ibid, 2018.

³ E Dionne & Thomas Mann, Polling and Public Opinion: The good, the bad, and the ugly, Brookings, 1 June 2003. <https://0i.is/Gulg>

أو التعليمي وغيره من التصنيفات. كذلك تحافظ عملية تعميم العينة والسعي لاستيعابها لكل المكونات المجتمع على مصداقية استطلاعات الرأي و جديتها، دون التخلي عن السمة العلميّة⁴. باختصار، من المهم أن تمثل العينة المختارة الآراء الموجودة فعلياً لدى المجموعة الكبرى.

ويعني هذا أيضاً أن إخضاع السلوكيات والمواقف المشاعرية أو الأيديولوجية للقياس الإحصائي يزيد من حالة المفارقات داخل مجال استطلاعات الرأي، فالأكيد أنه توجد عدّة مؤاخذات (التحيّز/ التوجيه..). وعقبات من الصعب التحكم فيها، ومن ثم ففي هذا الإطار سنكتفي بالتركيز على نتائج استطلاعات الرأي العام بدلاً من البحث في ديناميات النفوذ الموجودة فعلياً في طرق إنتاج المعرفة (موضوع الاستطلاع/ اختيار العينة/ التمويل/ منهجية التساؤل والعمل..).

للإجابة عن سؤال: «ما الذي يعنيه مصطلح الرأي العام؟»، يبدو ضرورياً الاعتماد على مبدأ «شرعية» المشاركة السياسية-المواطنة للفرد في الشأن العام من خلال طرحه لمجموعة أفكاره وقيمه وتطلعاته إلى صنّاع القرار. تاريخياً، تعرض فلاسفة الأنوار، مثل جان جاك روسو من خلال كتاباته الفلسفية والسياسية، للرأي العام (الإرادة العامة) على أنه مصدر أساسي للشرعية السياسية، وأحد مظهرات الانخراط المواطني الحرّ في الشأن العام⁵. كذلك، لفتت كتابات هابرماس حول الفضاء العام/العمومي الانتباه

4 Jelke Bethlehem, Ibid, 2018.

5 هاشم هلال، جان جاك روسو موسوعة ستانفورد للفلسفة، موقع حكمة من أجل اجتهاد ثقافي وفلسفي،

2020/09/11، تاريخ الاطلاع: 2020/10/30. <https://cutt.us/l1uu0>

إلى حيويّة حضور الفرد أو المجموعات في الشأن السياسي-الاجتماعي، وقدرته على الضغط والتواصل مع صنّاع القرار لافتكاك حقوقه والتعبير عن مواقفه⁶. لكن تجدر الإشارة إلى أن تداول مصطلح الرأي العام أو الإرادة العامة (وغيرها من المرادفات أو ذات المعاني المتقاربة) قد أضفى نوعاً من السلطة والقوة على الرأي/الصوت الجماعي-المشترك للشعب. والميزة المفترضة للمشاركة الشعبية في المجال السياسي تجعل للرأي العام، المتمايز بذاته عن نفوذ النخب أو مجموعات المصالح، قوة راجحة متعالية عن الغوغائية.

يرى المفكر لافوبا (La Vopa) أن الرأي العام «الموقف/الحكم السلطوي للضمير/الوعي الجمعي، هو عبارة عن حكم المحكمة التي تخضع لها الدولة أيضاً»⁷. وبهذا المنطق تطوّر مفهوم الرأي العام مع تشكل مؤسسات اجتماعية-سياسية وثقافة سياسية مبنية على الديمقراطية الليبرالية، حيث تتسع مسؤوليات المواطنين والتزاماتهم. ولكن تطوّر العلوم الاجتماعية، وتعدّد مقاربات الهويات، جعل تعريف الرأي العام أكثر تجريداً وضبابية. فكلما تنوّعت المقاربات أصبح المفهوم أكثر عرضة للمساءلة، حيث ظهرت أدبيات تشكك في أهليّة المواطنين العاديين للمشاركة السياسية أو إعطاء آرائهم حول الشأن العام والسياسات الخارجية. كذلك، اعترفت أدبيات عديدة بأهمية المشاركة المواطنين في الانتخابات (صندوق الاقتراع) دون السماح لهم بتقديم مواقفهم حول المسائل

6 أماني المهدي، المجال العام من الواقع الفعلي إلى العالم الافتراضي: معايير التشكل والمعوقات، المركز الديمقراطي

العربي، 2018/3/20، تاريخ الاطلاع على الرابط: 31/10/2020. <https://cutt.us/TpsYN>

7 La Vopa, The Birth of Public Opinion, The Wilson Quarterly, Vol 15, No 1, Winter 1991, pp 55-46. <https://www.jstor.org/stable/40233153>

الدبلوماسية أو السياسية⁸.

إنّ تعريف الرأي العام، في هذه الورقة البحثية، يتجاوز مقولات اللاعقلانية وعدم أهلية وعدم ثبوتية مواقف الناس العاديين إلى الإقرار بأنّ «الرأي العام قوة محوريّة منخرطة في تغيير وإنتاج المجتمعات»⁹.

الرأي العام هو مجموعة المعتقدات والتصورات والأفكار والآراء التي تحملها مجموعة من الأفراد حول موضوع معين في حقبة زمنية معينة، ويكون التعبير عن هذه المعتقدات في وسائل الإعلام أو من خلال البحوث الميدانية مثل استطلاعات الرأي. وقد سعت مختلف السلطات، عبر التاريخ، للتعرف على الرأي العام بغية التحكم فيه وتوجيهه، ومن ثم ضمان مزيد من السيطرة والهيمنة على الشعوب. وقد عبر عنه الفيلسوف الألماني كانط باعتباره عملية تتجاوز أو الخروج من دوائر الوصاية إلى نطاقات التعبير الحرّ عن الذوات التي تشكل من خلال هويتها الجماعيّة الرأي العام. وهذا ما جعل مصطلح «الرأي العام» يقترب في العصر الحديث بالتححرر من قيود الاستبداد السياسي والديني¹⁰.

من خصائص الرأي العام أن يتحول الرأي الفردي، عن طريق احتكاكه بآراء الآخرين، إلى رأي «جمعي» أو عام، لكنه مع ذلك لا يعني «الإجماع» أو التوافق التام؛ نظراً لاختلاف خصائص الأفراد وقدراتهم. كما أن الرأي العام عادة ما يرتبط بموضوع معين في إطار زمني ومكاني معين، وهذا ما يجعله

⁸ Rasoul Etesami & al, Evolution of Public Opinion under Conformist and Manipulative Behaviors, Vol 50, Issue 1, July 2017. pp 14349-14344. <https://Oj.is/8qdU>

⁹ ESOMAR/WAPOR Guideline on Opinion Polls and Published Surveys, August 2014. <https://Oj.is/fXbS>

¹⁰ El Sayed El -Aswad, Ibid, 2013.

قابلاً للتغيير حسب الأحداث والمواضيع المطروحة وإطارها العام. يرى العديد من الباحثين أنّ الرأي العام قد تحوّل إلى صناعة (ناعوم شومسكي)، أو وسيلة للتلاعب بالعقول (هربرت شيلر)، وأبرز مثال على ذلك ما يسمى الأخبار الكاذبة (fake news)؛ لشدة تأثيرها السلبي وتضليلها للرأي العام. وفي الحقيقة فإنه يصعب تحديد مفهومي «الرأي» و«العام»، ويصعب بذلك تحديد المفهوم في شموليته، أي «الرأي العام»، وهذا ما جعل المفهوم يبدو فضفاضاً وذا تعريفات مجردة، ومُختَلَفاً بشأنه، ما أفرز عموماً بعض المواقف التشكيكية التي ترى أنه لا وجود في الواقع لشيء اسمه «الرأي العام» وإنما هناك آراء فردية غالباً ما توجّهها - بل وربما تصنعها - السلطة، ومن ضمن ذلك استغلال استطلاعات الرأي من أجل ذلك¹¹.

ب. استطلاعات الرأي العام كمنهجية إحصائية وعلمية

ترصد استطلاعات الرأي آراء الناس، على اختلافاتها وشدة تعقيداتها، حول موضوع معيّن. ومن دون شك فإن عملية رصد آراء العامة والمواقف الجمعيّة تعتمد بالأساس على مقاربات تتأسس على منهج علمي وأدوات إحصائية -حسابية، من جهة أولى، ولكنها تسعى لتقديم رؤية شاملة حول أشكال إنتاج المعرفة برصد مواقف الأغلبية المستهدفة من العينة، من جهة أخرى. فالعينة المثلثة للرأي العام تتموضع ضمن مجموعات وفئات اجتماعية أوسع وأشمل، حيث تتعامل معها الأدوات البحثية والأساليب التحليلية لاستطلاعات الرأي على أنها صوت

¹¹ Jelke Bethlehem, Ibid.

أو صدى لآراء العامة (الناس العاديين/الشعب)¹².

إنّ استطلاعات الرأي تتجاوز مجرد البحث المتوقع في نطاقات المقاربة الوضعية حيث تتقاطع داخلها مجموعة من المبادئ والقيم ومختلف المفاهيم حول الذاتية والزمان والمكان؛ بمعنى السياق العام للاستطلاع والموضوع المستهدف بالتساؤل حوله. في الواقع، تتقاطع داخل استطلاعات الرأي مقاربات متدافعة ومختلفة لإنتاج المعنى والمعرفة بجانب تقديم رؤية عامة وجامعة للآراء، تعمل على إنتاج وإعادة بلورة حصيلة المواقف المرصودة داخل المجتمعات بطرق دقيقة ومحددة نسبياً، باعتبار أن مسارات تحليل معيقاتها وأرقامها تُظهر الديناميات المحركة للظاهرة المدروسة.

تمثل استطلاعات الرأي عملية لرصد وتجميع الآراء والمواقف التي تستبطنها الذهنيات المشتركة من خلال آليات ووسائل تقنية؛ مثل طرح التساؤلات والمقابلات وغيرها من الأدوات. وفي الغالب تتسم نتائج استطلاعات الرأي- أرقاماً أو تحليلات- بأهمية كبرى في نطاقات الدوائر السياسية والإعلامية والعامة¹³. يجدر بالذكر أن استطلاعات الرأي ترصد المزاج العام وتقدمه إعلامياً لإحداث الضجة وزعزعة عدد من المعتقدات أو الحقائق الراسخة، بحيث يكون لها دور فاصل لتثبيت التوجه العام أو تعديله حول موضوع أو ظاهرة أو شخصية عامة ذات أهمية، وتنبأ وترصد واقع المشهد السياسي والاجتماعي وغيرها من المجالات في ذهنيات الشعوب على حدّ سواء، وتؤثر أحياناً في

¹² El Sayed El -Aswad, Ibid, May 2013.

¹³ Jelke Bethlehem, Understanding Public Opinion Polls, Taylors & Francis Group, 2018. P17.

السياسات العامة.

ترى هذه الورقة البحثية أن استطلاعات الرأي العام إحدى الطرق الحديثة للترابط بين الشعوب واختبار مستويات الثقة والتشابك فيما بينها، فاستطلاعات الرأي العام تجاه دول أخرى تستوعب ضمن نتائجها وتمثلات شعوبها المواقف الأيديولوجية وإراثاً من الأفكار النمطية، فهي تظهر التمثلات العفوية والعامة حول ثنائية (نحن) و(هم) في ظل منظومة دولية قد ازدادت ضمنها الأهمية الحيوية لقضايا الهوية والأمن.¹⁴

بدأت الاهتمامات السياسية والبحثية بصياغة معايير قياس الرأي العام كفكرة نظرية وأولية مع المقولة الشهيرة للمؤرخ والسياسي البريطاني جيمس برايس (James Bryce) «حكم الرأي العام»، واصفاً آنذاك ديناميات المشهد السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية¹⁵. وهذا الاعتقاد بنفوذ الرأي العام وقوة تأثيره في السياسات الأمريكية قد ترسّخ منذ نهايات القرن التاسع عشر. كما ركز المؤرخ جيمس برايس على أهمية الرأي العام بصفته قوة خالقة للتوازنات والتغيير الإيجابي داخل المجتمع، لقدرته على تعزيز وتطوير الديمقراطية في سياقات المشهد السياسي الأمريكي بالرغم من معوقات التقنية والمنهجية لقياسه من خلال الاستطلاعات في تلك الحقبة. ولكن في منتصف القرن العشرين اهتم عالم النفس ورجل الأعمال جورج غالوب (George Gallup) بتطوير الأدوات المنهجية لاستطلاعات الرأي العام، التي جرى توظيفها

¹⁴ El Sayed El -Aswad, 2013.

¹⁵ Michael Korzi, Lapsed Memory? The Roots of American Public Opinion Research, Polity Journal, The University of Chicago Press Journals. Vol 33, N 1, Autumn 2000, pp75-49. <https://oi.is/aVlj>

واختبار فعاليتها خلال الحملة الانتخابية الرئاسية لسنة 1936¹⁶. فقد أظهرت استطلاعات الرأي أن المزاج الانتخابي للمواطن الأمريكي يؤيد نجاح المرشح للرئاسة «روزفلت»، ومن ثم رأى العديد من الملاحظين أن فوز «روزفلت» بمنزلة البرهان على مصداقية التوقعات والتقديرات المبدئية لسبر الآراء، من ناحية أولى، وفتح المجال أمام اعتماد وتطوير الأدوات المنهجية لغالب في اختيار العينة واستقراء نوايا التصويت في مناسبات انتخابية أخرى، من ناحية ثانية. وتدرجياً، ولكن بشكل متسارع، عرفت استطلاعات الرأي العام تقدماً على مستوى منهجيات المسح الميداني بالاستفادة من آليات التفسير المبسط للمعطيات والتسويق لنتائجها في مختلف وسائل الإعلام والدوائر السياسية. وقد اعتبرت استطلاعات الرأي العام معياراً لتقييم مستويات رضا الشعب عن إدارة الشأن العام، وقياساً لفعالية السياسات العامة، بالإضافة إلى مساهمتها في الإضاءة على الاهتمامات الوطنية بالقضايا الوطنية¹⁷. وعليه فاستطلاعات الرأي قد ساهمت في ديمقراطية الشأن العام، بمعنى أنها كشفت عن فكرة مركزية مفادها «استفتاء» أكبر عدد من العينات في المجتمع حول القضايا المشتركة¹⁸. وقد أثر التنوع الحاصل منهجياً وإجرائياً في الطرق النظرية والإحصائية المعتمدة لتمثيل وبلورة الرأي العام (سؤالات/ توقعات/ النتائج الأولية..).

تعتمد استطلاعات الرأي العام التقليدية في آليات طرح الأسئلة على عينة عشوائية من مجموعة سكانية معينة حول

16 المرجع نفسه.

17 ESOMAR/WAPOR, Ibid, 2014.

18 E Dionne & Thomas Mann, Ibid, 2003.

مواقفهم أو معارفهم أو سلوكهم، وتكون الإجابات الناتجة عن هذه الاستطلاعات خلاصة مواقف وآراء جميع السكان تقريباً. في الغالب، تعتمد استطلاعات الرأي العام التقليدية على الطرق الأربع التالية لجمع البيانات، وهي: المقابلات وجهاً لوجه، والاستبانات البريدية، واستبانات الهاتف، والاستبانات الافتراضية (عن طريق الإنترنت). وبالنظر إلى أن استطلاعات الرأي تستند إلى عينة، فلا يمكن التسليم نهائياً بمصداقيتها وعدم تحيزها في الاختيار، حتى لو كانت عملية الانتقال مثالية ومستندة إلى منهجيات صارمة. علاوة على ذلك، قد تعتمد الردود بشكل كبير على المعلومات السياقية المقدمة مع السؤال أو حالة التعبئة (الإعلامية/ الحزبية/ مجموعات الضغط/ الأحداث..)، كذلك قد يكون من الصعب تحديد الأسباب السابقة أو المعقدة للمواقف أو السلوك.

باختصار، تعد الاستطلاعات طريقة دقيقة لقياس الرأي العام، لكنها محفوفة بكثير من التحديات، أمّا الاستطلاعات الحديثة فقد أصبحت تعتمد أكثر على مواقع التواصل الاجتماعي لرصد كيف يفكر المواطنون. رغم ذلك، ما يزال الرأي العام في حد ذاته فعلاً ذا تركيبة اجتماعية غير واضح وضبايياً.

تتداخل في صناعة الرأي العام العديد من الجهات المؤثرة مثل الصحفيين والنخب (السياسية/ الثقافية/ الدينية..). حيث تخزن الذهنات المعلومات والمقاربات المختلفة لهؤلاء الفاعلين لتبلور وعياً جمعياً/موقفاً جمعياً ومشتركاً في كل اللحظات التاريخية الحاسمة¹⁹. بالتأكيد ما زالت استطلاعات الرأي العام تتعرض لانتقادات وحمولات تشكيك بسبب غياب الحتمية عن مقاييس

19 ياسر الزعتر، مرجع سابق.

ومعايير التمثيل الوصفي للعينة أو للأسئلة الموجهة، بجانب إمكانية التلاعب بالنتائج لمصلحة الأطراف الممولة²⁰.

في ذات الوقت، تزداد معدلات الاعتماد على استطلاعات الرأي التي تحظى بالبرواج داخل الأوساط الإعلامية والمتلقي العادي. وقد تجاوزت مجرد التنبؤ بنتائج الاقتراع خلال الحملات الانتخابية لتقدم مقارباتها الإحصائية في عدة ميادين؛ مثل التغطية الإعلامية، وسبر الآراء بخصوص أساليب التواصل السياسي للفاعلين وغيرها من المواضيع. أصبحت استطلاعات الرأي، تدريجياً، عنصراً مؤثراً في المشهد السياسي والإعلامي في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا (خاصة ألمانيا/ النمسا..). وحالياً المنطقة العربية.

استطلاعات الرأي العام آلية لإنتاج المعرفة حول «المجتمعات»

أ. المقاربة التاريخية الاجتماعية (السوسيولوجية) لاستطلاعات الرأي

العام:

تعد اختيارات الشعوب أو العامة فكرة مستحدثة على الرغم من تجذرها في المقاربة الاجتماعية منذ بدايات أربعينيات القرن العشرين، لتعترف الأوساط البحثية الأكاديمية أو السياسية والإعلامية خلال الستينيات بضرورتها وفعاليتها في السياسات العامة. فقد طوّر باحثون من جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وتحديدًا قسم البحث الاجتماعي التطبيقي، مقاربة جديدة لدراسة الطرق والعوامل وأشكال التفكير الدافعة للمواطنين خلال الحملة الانتخابية وعند التصويت، ومن ثم بدأت استطلاعات الرأي العام برصد متغيّرات السلوك الانتخابي والمزاج العام تجاه المشهد

²⁰ المرجع نفسه.

السياسي²¹.

تجذر المقاربة السوسيوولوجية في الأعمال النظرية التي قدمها مجموعة من الباحثين بجامعة كولومبيا، مثل بول لازارسفلد (Paul Lazarsfeld) وويليام ماكفي (William McPhee). وقد اعتمدوا على مقاربات منهجية مستحدثة ومتوازنة آنذاك مع تطور آليات البحث الكمي والكيفي، مثل مقابلات وتجميع المعطيات من العينة كبيرة العدد ولعدة مرات متتالية (تتبع تطور السلوكيات والمواقف)، ومن ثم تقاطعت الآليات المنهجية لتحليل المحتوى وغيرها من المنهجيات الإحصائية لدراسة الرأي العام «السياسي-الانتخابي» في تلك المرحلة التاريخية، وباختصار فقد مثلت تقاطعاً لعدة اختصاصات ومنهجيات.

إن المقاربة السوسيوولوجية للرأي العام تعتمد على دراسة تأثيرات التنشئة والبيئة الاجتماعية ووسائل الإعلام المختلفة في قرارات المواطن العادي بخصوص المسائل السياسية.

يجدر بالذكر أن المقاربة السوسيوولوجية للرأي العام قد تطورت وغيّرت من أولويات اهتمامها وآلياتها المنهجية بالتوازي مع التطور البحثي الكمي، حيث تعمقت مراجعات سلوكيات الشعوب بمنطلقات شديدة التنوع (الإعلام السياسي / التواصل السياسي / الميولات الشخصية / الانتماءات الحزبية أو الأيديولوجية....)، ومن ثم أسس الجيل الأوّل للباحثين في العلوم الاجتماعية آليات رصد استطلاعات الرأي العام وطرق تحليلها وإعادة تطبيقها على

²¹ John G. Geer (ed), Public Opinion and Polling Around the World: A Historical Encyclopedia, Library of Congress Cataloging in Publication Data, Oxford-England, 2004, p14-7.

مواضيع أخرى غير سياسية، مثل الموضة والتسوق الاستهلاكي²². كما تأثرت استطلاعات الرأي العام بالتقدم التكنولوجي، الذي عرفته السبعينيات، بالأخص على مستوى تجميع المعطيات وتحليلها، بجانب تسهيل أشكال التواصل الميداني والافتراضي مع العينات.

ب. المقاربة النفسانية:

تتقاطع، مثلما سبق أن ذكرنا، اختصاصات متعددة في نطاقات الرأي العام على مستوى الآليات المنهجية للاستطلاع أو التأثير والاستقطاب (الاقتصاد/ السياسة/ التنشئة الاجتماعية/ الميول الشخصية..). في سياقات تطوّر النظرية النفسانية الاجتماعية قد توّصل الباحثون إلى أنّ الأدوات المنهجية المستعملة في الميدان النفسي قد أثرت في آليات رصد الرأي العام. في هذا السياق، يمكن الإشارة إلى أن من أبرز الأدوات المنهجية التي استُخدمت من المجال النفسي إلى نطاق استطلاعات الرأي العام التجارب المخبرية أو المقابلات من خلال الهاتف والمخططات²³. لا شك في أن المقاربة النفسانية قد تطورت تاريخياً مثلما حدث مع المقاربة الاجتماعية، فهي تلاءمت مع سياقات بحثية أكثر انفتاحاً على مسائل العرق والعنصرية والانتماء والمعرفة السياسية والهوية وغيرها من القضايا ذات العمق والالتصاق بالذات الإنسانية²⁴.

تتبلور داخل المقاربة النفسانية للرأي العام علاقات القوة والقضايا الخلافية بين مجموعات الصراع (فئات المجتمع ذاتها)،

²² هشام بشير، دراسة نظرية في طبيعة وطرق استطلاعات الرأي العام، مركز دراسات الدول النامية، 2012.

<https://i.is0/Mq4>

²³ John G. Geer (ed), Ibid, pp18-15.

²⁴ المرجع السابق.

ويعني أكثر وضوحاً: تستبطن المواقف الشعبية/العامة أو المشتركة بين أفراد العينة المستهدفة سرديات التصادم والتقارب بالإضافة إلى مصالح المجموعات (الطائفية/ الأيديولوجية/ العمالية/ الحزبية/ الجندرية..)²⁵.

تنوّعت اهتمامات الرأي العام خلال العقود الأخيرة، وأصبحت تغطي كل المواضيع تقريباً، في العالم الغربي أو العربي على حدّ سواء. وتحرص مختلف مؤسسات سير الآراء على مجازاة المزاج العام والقضايا المهيمنة والراهنة، فرصد آراء الجمهور حول قضية معيّنة بذاتها يظهر فكرة مفادها كيف يجتمع ويتشارك أفراد مختلفون اجتماعياً ومتباعدون أو مختلفون جغرافياً وعمرياً وجندرياً على مستوى الرأي ووجهات النظر. وبقدر ما تعكس حالة تجانس أو تطابق الآراء بين الأفراد المشترك الاجتماعي والسياسي الحاصل واقعياً، بقدر ما تسهّل على مجموعات النفوذ، مثل السياسيين ورجال الأعمال أو صانعي السياسات العامة، بلورة استراتيجيات الاستقطاب على أساس نتائج استطلاعات الرأي العام.²⁶

من المهم القول إن مؤسسات سير الآراء أو الأوساط الأكاديمية-البحثية (مراكز التفكير) المهتمة باستعراض الرأي العام ودراسته تهتم غالباً بالقضايا ذات الصدى لدى الجمهور؛ فهي تسعى إلى استطلاع الأفكار والمواقف والسلوكيات المحركة للجمهور والمؤثرة في ذهنياته وطرق تمثله للقضايا وردود الفعل الجماعية، ومن ثم

²⁵ Carroll J. Glynn & al, Psychological Perspectives on Public Opinion, Public Opinion, third edition, Routledge, 3 September 2018, pp 266-230.

²⁶ Patricia Moy & Brandon J Bosch, Theories of Public Opinion, Handbook of Communication Science, Paul Cobley & Peter Schultz, Sociology Department, Faculty Publications, Vol 2013, 1, pp 308-289. <https://oi.is/VNps>

فاستطلاعات الرأي العام آليات لتجميع المعلومات حول طرق التفكير والتحرك المشتركة بين الأفراد أو المجموعات. كذلك، تقدم استطلاعات الرأي رؤية أشمل وأدق حول صدقية الفرضيات والتوقعات الحاصلة حول سلوكيات المجموعة ومواقفها من قضايا بعينها.

ج. استطلاعات الرأي العام كموضوع للعلوم الاجتماعية:

تتشابك مفاهيم الرأي العام مع مجالات أخرى شديدة الالتصاق بمجال العلوم الاجتماعية، فهي تعكس مواقف مجموعة بشرية واسعة، من ناحية أولى، وتظهر تقارباً في المنهجيات وطرق البحث في الظواهر كميّاً أو كيميّاً، من ناحية أخرى. كما ترتبط استطلاعات الرأي العام بالواقع المعاش أو الراهن حيث تستوعب في الآن ذاته ثنائية النقاش العام والاهتمام الجمعي بإحدى قضايا الشأن العام. وعلى الرغم من أن الرأي العام يمثل ظاهرة مستحدثة فإنه يتبلور من خلال الروابط الحتمية والممكنة بين المواطن العادي والدولة، أو منظومة الحكم عموماً، ومن ثم فالرأي العام يمثّل حالة تواصل بين الفردانية والمجتمع ككل (الدولة/ الشعب/ المعتقد..).²⁷

وفي ذات السياق، يحظى الرأي العام بحضور مؤثر ومكانة أكبر في الشأن العام كالمّا ازدادت استقلالية المجتمع المدني وتوفرت حرية الإعلام والتعبير، حيث إنها تعزز عملية تجميع الآراء، وتقطع مع تشتتها، وتزيد من قوتها. يقوي الترابط بين الرأي العام والحريات العامة فكرة مشروعية الانفتاح السياسي والتفاعل الإيجابي مع القيم الديمقراطية الأساسية، ومن ثم فاستطلاعات الرأي العام تمثّل استفتاء للشعب من أطراف خارج الدوائر

²⁷ E Dionne & Thomas Mann, Ibid.

التقليدية للسلطة، التي بدورها تتشارك مستويات عالية من التنشئة الاجتماعية والمعتقدات والوعي الجمعي. لذلك، وحسب الباحثين دال (Dahl) وسارتوري (Sartori)، توفر استطلاعات الرأي العام لصناع القرار الفرصة للاطلاع على جدوى وصدى السياسات العامة لدى منظرها.

على الرغم من الغياب الواضح لتبريرات علمية دقيقة للعلاقة بين السياسات العامة وانتظارات أو توقعات المواطنين، فإنّه من البديهي القول إن معطى الرأي العام أساسي وجوهري، بطريقة خفيّة ومستترة، في إدارة الشأن العام²⁸.

وقد تعرض الباحث بلومر (Blumer) إلى مسألة معوّقات التعاطي مع الرأي العام كموضوع دراسة، وإخضاعه للقياس الإحصائي الدقيق، بسبب صعوبة التكييف للتوصيف المفاهيمي عند عملية تجميع المعلومات أو تفسير الملاحظات الميدانية. ليؤكد المفكر هابرماس (Habermas) أن النزوع الدائم لصياغة الرأي العام يلغي أهمية الآراء الفردية أو المغايرة بعد انخراطها في الموقف الجمعي أو يهملها تماماً²⁹.

ومن أبرز استطلاعات الرأي المعروفة عالمياً استطلاعات بروميتير الأوروبي، الذي بدأ سنة 1974 لقياس ورصد وتجميع آراء المواطنين في الدول الأعضاء بالاتحاد الأوروبي حول عملية الاندماج وعمل مؤسسات الاتحاد وكذلك السياسات³⁰. وتتم هذه الاستطلاعات بالمتغيرات الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية.

28 El Sayed El -Aswad, Ibid.

29 أمين بن مسعود، حفريات معرفية في مفهوم المجال العمومي، مجلة علوم الإعلام والاتصال، 2018.

<https://diraset.com/node/31>

30 المرجع نفسه.

د. مستويات مصداقية «إنتاج المعرفة» لدى استطلاعات الرأي العام:

من المهم أن نلاحظ أن الرأي العام يستبطن بعداً سياسياً في طبيعته الجوهرية، وهو ما يخلق علاقات تبعية بين إنتاج المعرفة والسلطة (النفوذ بكل أنواعه). فالادعاء بأن الحدود بين سبر الآراء والسلطة ثابتة وواضحة هو بحد ذاته عملية إيهام ممنهجة من طرف مجموعات المصالح للتغطية على محاولاتها الجادة والدائمة لتوجيه المواقف الشعبية لمصلحتها.

تختلف استطلاعات الرأي فيما بينها من حيث الجودة ومصداقية النتائج أو مسارات عملية السبر، بالإضافة إلى طبيعتها وأهدافها والمآخين. ولطالما مثلت طرق إجراء استطلاعات الرأي، التي تعرف زخماً عالمياً وانتشاراً واسعاً ومؤثراً في توجهات الرأي العام، تحدياً لمنظمي الاستطلاع وللمراقبين (إعلاميين/ سياسيين..). على حدّ سواء. وبقدر ما حصل انفتاح على الآليات المنهجية وأدوات إجراء استطلاعات الرأي فما زال يلفها الغموض، وتغلب عليها الإثارة، بسبب متدخلات أخرى؛ كطريقة التسويق وسياقات صدور سبر الآراء وأهمية مواضيعه بالنسبة للرأي العام، بقدر ما استوعبت مراحل إجراء استطلاعات الرأي من أدوات شديدة التعقيد وتفاصيل دقيقة، مثل معايير اعتماد العينة، ونوعية القائمين على طرح أسئلة الاستطلاع ميدانياً أو افتراضياً، بجانب التساؤلات والتشكيك الدائم من قبل الخصوم أو المتضررين من نتائج الاستطلاع حول معايير الجودة ومصداقيتها³¹.

يجدر بالذكر أن استطلاعات الرأي العام تعتمد على مرتكزات علمية دقيقة؛ ضماناً للموثوقية ومصداقية إجراءاتها ونتائجها، من

³¹ James A. Stimson, Tides of Consent: How Public Opinion Shapes American Politics, Cambridge University Press. 2004.

ناحية أولى، واعترافاً بقوة تأثيرها وقدرتها على تحريك الشارع والسياسات العامة، من ناحية ثانية، ومن ثم فاستطلاعات الرأي تخفي وراء نتائجها مسارات كاملة لتوظيف الأدوات المنهجية لتجميع المعطيات حول السؤال المطروح على العينة المستهدفة، كما تستبطن إشكاليات أخلاقية حول أساليبها ونتائجها وطرق تلاعب بعضها بالرأي العام، بسبب شدة تأثيرها وقدرتها على تحويل مجرى الأمور، خاصة في سياق الانتخابات³². وقد اعتبر تشومسكي أن انتخاب دونالد ترامب رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية مثال على التوظيف المنهج والسياسي للأخبار الكاذبة التي تلاعبت بالمزاج الانتخابي للمواطن الأمريكي.

وإذ نلاحظ الدور الذي يمارسه الرأي العام في التغيير وإنتاج متغيرات سياسية أو اجتماعية جديدة، فإن من المهم الانتباه إلى النزوع الدائم للتوظيف والاستغلال. وعليه؛ فإن ضبابية المفهوم، وصعوبة الإلمام بمحدداته أو حمايته من كل أشكال التأثير فيه، تجعل الرأي العام مليئاً بالأيديولوجيات (غير مستقل بذاته)³³.

هنا، فقد تمّ التغاضي عن عقبات التعامل مع الرأي العام، بناء على غموضه وطبيعته المجردة، للانشغال بطرق صياغة الاستطلاعات وتحليلها، خاصة في ظلّ التنافسية الشديدة بين مؤسسات سير الآراء. في هذا الإطار يلخّص الباحث كروس (Krauss) فكرة أن الاستطلاعات قد ساهمت في تجاوز التعقيدات الملازمة للرأي العام كفكرة لتؤسس لإشكاليات جديدة حول المفهوم، في قوله التالي: «الرأي العام يعد نتاجاً للطرق التي يستعملها باحثو

³² إسلام حلايقة، استطلاعات الرأي في الانتخابات الترتيبية: التأثيرات الإيديولوجية والتوظيف السياسي،

مركز الجزيرة للدراسات، 27 يناير/كانون الثاني 2016. <https://cutt.us/TC8NF>

³³ Tom Porter, Chomsky on 'Bought' Elections, 'Superficial' Media and Other Threats Archives, Bowdoin, 18 October 2016. <https://oi.is/jh94>

الرأي العام للتسويق والترويج لأنفسهم بين العامة/الناس العاديين، والتي تتضمن مجموعة الأسئلة المطروحة خلال المقابلات، وطرق التعامل مع المستجوبين، وكيفية نشرهم للنتائج»³⁴. إنّه لمن الخطأ أن نتعامل مع استطلاعات الرأي العام بوصفها مواقف شعبية محايدة (محض الحريرة الشخصية)، إذ تتداخل ضمنها محاولات الترضية للممولين والجهات الفاعلة. إن المشكل الأساسي هنا يتمثل في تشابك المفارقات وتعهدها، فالرأي العام يمثل قوة لا يمكن السيطرة الكلية على مواقفها رغم كل محاولات التعبئة والتلاعب. كذلك، فالتنافس بين مختلف مؤسسات سبر الآراء ذات الفروقات الشاسعة في النتائج يكشف محاولات التلاعب في المعطيات من طرف إحداهما ومجموعات الضغط المستفيدة من ذلك.

تاريخية اهتمام الرأي العام الغربي بالمنطقة العربية

أ. الهوية الجمعية-المشتركة للمنطقة العربية:

تعد المنطقة العربية ظاهرة ذات أبعاد سياسية مشوبة بالتناقضات والاختلافات الداخلية، وهو ما يفترض أنها ليست مجرد دول متقاربة جغرافياً فيما بينها، بل هي نتاج للصراع السياسي بين الفاعلين المحليين والدوليين داخل حدودها. ومن ثم فمفهوم المنطقة العربية يتشكل في الذهنيات-محلياً أو دولياً أو إقليمياً- على مقولات الصراع وتنازع المصالح والهويّات³⁵. فالهوية الجمعية لمنطقة إقليمية معينة تتأسس على التمثلات المشتركة، فهي تحقق

³⁴ Krippendorff, Klaus.. The Social Construction of Public Opinion. Kommunikation über Kommunikation. Theorie, Methoden und Praxis. Festschrift für Klaus Merten, 2005, pp 149-129. <https://0i.is/Q7v0>

³⁵ Charles Harb, The Arab Region: Cultures, Values and Identities, Handbook of Arab American Psychology, Mona Amer & Germiné Award (ed), Francis & Taylor, Routledge, January 2016, pp 17-3. <https://0i.is/bntm>

البناء المعرفي للمشارك في سيرورة لانهائية من إنتاج وإعادة إنتاج لمقومات التنشئة الاجتماعية. ومن ثم فاستطلاعات الرأي العام الأجنبية تتعامل مع قضايا المنطقة العربية، على سبيل المثال، باعتبارها متجانسة ومتشابهة ثقافياً واجتماعياً ودينيّاً. فالسرديات المهيمنة حول الشعوب العربية تتبلور بالأساس من خلال افتراضات مسبقة وأفكار نمطية ومعرفة مشوّهة شائعة بين الأغلبية في الدول الغربية بسبب ندرة الدراسات أو البرامج الإعلامية التي تتعاطى مع المنطقة العربية بجداد.

تغلب على مقولات الإعلام الغربي والخطاب السياسي لأغلب القيادات الأفكار الخاطئة والمغالطات، خاصة ما قبل 2011، حيث أسهمت المساعي الممنهجة لحماية مصالح الكيان الإسرائيلي أو الولايات المتحدة الأمريكية في شيطنة شاملة لشعوب المنطقة³⁶.

ويقدم العالم العربي مجموعة من الديناميكيات الغنية ثقافياً والمعقدة اجتماعياً التي ما زالت تسعى استطلاعات الرأي إلى استكشافها وتعزيز مقولاتها أو نفيها في الذهنيات المشتركة. يبدو جلياً أن المنطقة - وعلى عكس التصورات المتجانسة عن العرب - في الواقع متنوعة من حيث التواريخ والأعراق والأديان، وحتى اللغات، لكنها تتشارك في بعض التحديات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

إن الصورة المرسومة حول العرب والمسلمين عموماً هي صورة مجازية لا غير، لم تُبنَ على معرفة لصيقة بالعرب والمسلمين، بل تشكلت على مدى عقود طويلة من خلال الأحداث السياسية وكتب المستشرقين والرحالة وبعض السياسيين. هذه الصورة ليست سوى انطباع لرغبة الغرب في تصوير العرب والمسلمين

³⁶ Ibid.

كـ«شهوانيين» أو «إرهايين»، كما يذهب إلى ذلك الكاتب إدوارد سعيد في كتابه (الاستشراق)، معتبراً أن الصور والصفات جعلت من الشرق اختراعاً غريباً، على وجه التقريب، «اتسم بنزعة رومانسية، والكائنات الغريبة المدهشة، والذكريات السابحة، والتجارب الاستثنائية، ليصير نهجاً من الإنشاء الكتابي له ما يعزّزه من المؤسسات والمفردات، وتراث البحث، والصور، والمعتقدات المذهبية، وحتى الأجهزة البيروقراطية الاستعمارية، والأساليب الاستعمارية³⁷. و تنبني هذه الرؤية الاستشراقية على أن العربي يمثل عادة قيمة سلبية كعدو للغرب، لذلك ارتبطت صورته في الأفلام بأنه شخص فاسق، وغادر، ومخادع، ومتعطش للدماء... إلخ. هذه الصور، بمُجانبها للحقيقة، أصبحت مجازاً سلبياً للعربي والمسلم لدى الرأي العام الغربي، فقد زادت من حدتها وسائل الإعلام المختلفة، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2011، التي قامت على ربط العالم العربي بمعادة الغرب والأصولية والعنف، ومقولات المؤامرة، والطمع في الثروة النفطية الهائلة³⁸.

وبعد أن نظرنا إلى الاتجاه السائد حول المنطقة العربية في الذهنيات الغربية فإنّ ذات المجتمعات وأنظمتها السياسية قد تشكلت في الذهنيات العربية-المحليّة بالتوازي مع المتغيّرات الحاصلة قبل وما بعد 2011.

بدأت مؤسسات دولية وعربية، مثل مؤسسة غالوب ومؤسسة البحث الاجتماعي وكارنيغي وغيرها، برصد الرأي العام خلال التسعينيات بعد اندلاع أزمة حرب الخليج، حيث كان التركيز

³⁷ إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد العناني، رؤية للنشر و التوزيع ، طبعة 2010

³⁸ Said, E. W, 1997, Ibid.

على مؤشرات عدم الرضا الشعبي عن النخب الحاكمة والهويات المتصادمة، بالإضافة إلى منظومة الحزب الواحد المنتشرة في أغلب الدول العربية وانتهاكات الحريات المدنيّة والفرديّة³⁹. أمّا المؤسسات العربية للعلوم الاجتماعية (في الغالب جامعات أو مراكز أكاديمية، خاصة في لبنان) فقد بدأت بالانتشار خلال التسعينيات، حيث ظهرت بوادر جديّة للتمويل وتسهيل وإدارة استطلاعات الرأي العام بشكل مستقل.

شهدت مرحلة التسعينيات تعدد ثنائيات التصادم حول المنطقة العربية في الذهنيات المحلية أو الإقليمية، من جراء النزوع إلى الانفتاح على مسار العولمة والتطور التكنولوجي، من ناحية أولى، والإصرار على ترسيخ مقومات السلطويّة وانتهاكات حقوق الإنسان، من ناحية أخرى⁴⁰. بدا جليّاً أن مراحل المؤسسة للرأي العام قد عرفت تطوراً كبيراً لتحوّل إلى صناعة لسبر الآراء خلال السنوات الأولى للقرن الحالي. وتنوّعت مجالات اهتمام استطلاعات الرأي المنبثقة من الداخل العربي بخصوص المواقف الشعبية (محلياً/إقليمياً) حول مسائل اجتماعية وسياسية (المرأة/العائلة/ الطبقة/ المشاركة السياسية/ القضية الفلسطينية/ السياسات الانتخابية/ الديمقراطية..)⁴¹.

تطور مجال سبر الآراء في المنطقة العربية بالتوازي مع مستويات الانفتاح النسبي التي عرفتها وسائل الإعلام (القنوات الفضائية) وحرية التعبير، وعرفت استطلاعات الرأي العام نقطة تحوّل

39 Kiran K. Phull, Polling and the Pursuit of Arab Public Opinion, Thesis dissertation, the London School of Economics and Political Sciences, 2019. <https://0i.is/p764>

40 Ibid.

41 Ibid.

بالتزامن مع تأسيس الباروميتر العربي (الولايات المتحدة الأمريكية)، المتعاون مع المؤسسات العربية (المركز الفلسطيني للسياسات والبحث/ المركز الأردني للدراسات الاستراتيجية..). أمّا النقطة التحوّلية الثانية فتتمثّل في إعادة بلورة السياسات والعلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والمنطقة العربية التي أنتجت أحداث 11 سبتمبر 2001.

كما سبق أن ذكرنا، حظي الرأي العام العربي بأهمية حيويّة لأجندات السياسات الخارجية الأمريكية، وهو ما خلق مستويات عالية للتعاون بين مؤسّساتها الدولية لسير الآراء مع نظيراتها العربية (العراق/لبنان..)، وتعددت مجالات الاهتمام لسير الآراء لتغطي مسائل الإرهاب (القاعدة/ التكفير/ التطرف..)، وأسباب كراهية العرب للولايات المتحدة الأمريكية، وخيارات الشارع العربي.. إلخ.

مثلت ثورات الربيع العربي النقطة التحوّلية الثالثة بصفتها دافعاً لرصد صورة المنطقة العربية في الذهنيات المحلية والإقليمية. وكشفت مختلف استطلاعات الرأي العام عن أن قضايا الحراك المناهضة للحكم الاستبدادي ثمّ الحكومات الانتقالية أو الباقية تمثّل المحرك الأساسي للشارع العربي، ومن ثم فقد خلقت التحوّلات السياسية مجالات اهتمام مغايرة ومتنوّعة للرأي العام (الحريات الفردية...)⁴².

ب. تاريخية اهتمام استطلاعات الرأي بالمنطقة العربية

إن مقاربات الرأي العام التي تعرضنا لبعضها في المحاور السابقة سنعمد إلى وضعها ضمن سياقها التطبيقية. فإنّ إنتاج المعرفة حول

42 Ibid, p201

المنطقة العربية-الإسلامية ما زال يتألف من افتراضات مسبقة ومن الثنائيات الحاكمة للذهنيات حول الإسلام والغرب. ويُظهر تاريخ استطلاعات الرأي العام حول المنطقة العربية النزوع الغالب لتوظيفها كاستراتيجية للسيطرة السياسية والأيديولوجية، لذلك كيف يمكن الإجابة عن مسارات التطور التاريخي والمعرفي لاستطلاعات الرأي العام حول المنطقة العربية؟

يرى العديد من الباحثين، مثل ميرشايمر (John Mearsheimer)، أن تقلص الحروب المباشرة بين الدول ما بعد الحرب الباردة في ظلّ ظاهرة تجييش النزعة القومية والكراهية ضد الآخرين قد جعل محاولات السيطرة وتعبئة الرأي العام تمثّل البديل «السلمي» للمواجهة والإقصاء⁴³. فموازناً القوى الدولية غير المستقرة، ما بعد الحرب الباردة، وتعدد الفاعلين من الدول وغير الدول دفعت الواقعيين الجدد مثل ميرشايمر إلى الجزم بالوجود الدائم لحالة من الكراهية الجماعية تجاه الآخر «العدو» أو «المختلف» في الذهنيات الشعبية⁴⁴، فالأمن العسكري والحالة الاقتصادية وقضايا الانتماء تؤثر في رفع مستويات الكراهية لدى الرأي العام تجاه منطقة إقليمية أخرى أو خفضها.

فقد وظفت وتلاعبت وسائل الإعلام الغربية بصورة الإسلام والشعوب العربية-الإسلامية ما بعد الضربات الإرهابية لـ 11 سبتمبر 2001. وأنتجت السياقات المتوترة والتقابل الحضاري بين الغرب والإسلام، كثنائيات إقصائية ومثقلة بجمولات أيديولوجية، اختزالاً

⁴³ John Mearsheimer, Bound to fail: The Rise and Fall of the Liberal International Order, International Security, Vol43, N 4, Belfer Center, 2019, pp 50-7. <https://Oi.is/kYcr>

⁴⁴ Ibid.

شبه كامل للمنطقة في التطرف الديني والعنف والإرهاب⁴⁵. وحظيت التمثيلات النمطية للأمريكيين المسلمين أو المنطقة العربية عموماً باهتمام بحثي لعدد من المفكرين، مثل إدوارد سعيد، وجاك شاهين (Jack Shahin)، وآصف بيات (Assaf Bayt)، حيث ناقشوا ثنائية التمييز العرقي والوصم الديني⁴⁶.

وقد عرفت استطلاعات الرأي العام، آنذاك، ارتفاعاً لمستويات كراهية المسلمين، وطغيان التمثيلات السلبية الإقصائية على الوعي الجمعي الأمريكي أو الأوروبي. في ذات السياق، بلورت وسائل الإعلام ومراكز التفكير، بجانب الدراسات الأكاديمية والخطاب السياسي، توجهات الرأي العام الغربي بتوظيفها للدعاية المناهضة للمسلمين على أساس مقولات الإسلاموفوبيا⁴⁷، فقد اختزلت هذه المقاربة ذات المرجعية العنصرية المنطقة العربية والمسلمين في الدول الغربية في دوائر الأصولية والفاشية والتعصب الديني والدمويّة، لكن من دون شك لا تلغي هذه التوجهات العنصرية وجود مقاربات أخرى في الأوساط الأكاديمية أو الإعلامية تبني العقلانية وتتجنب التعميم تجاه المنطقة.

فقد اعتمدت الولايات المتحدة الأمريكية في جزء من سياساتها الناعمة على استراتيجيات استقطاب القلوب والعقول خلال مرحلة غزو العراق ما بعد 2003، فهي تستهدف جميع

⁴⁵ Varisco, D. M. (2005). Islam obscured: The rhetoric of anthropological representation: Palgrave Macmillan.

⁴⁶ Zayani, Mohamed. The Challenges and Limits of Universalist Concepts: Problematizing Public Opinion and a Mediated Arab Public Sphere. Middle East Journal of Culture and Communication 1,2008, pp 79-60.

⁴⁷ Ibid.

المعلومات حول ميولات ومواقف وتوقعات ومعتقدات الشعب العراقي آنذاك. فاستطلاعات الرأي تسهل عمليات اختراق الشعوب والتدفق السلس للمعلومات الاستخباراتية، وهو ما يساعد الحكومات أو القوى المنتفذة في عمليات صناعة القرار على التوظيف الأيديولوجي والمنهج لنتائجها تحقيقاً لمصالحها⁴⁸.

في قراءة أكثر عمقاً، تتطابق استراتيجيات الاستقطاب مع نواتج استطلاعات الرأي، أو توقعات الجمهور المستهدف، تضيفي الشرعية والفعالية على سياستها الناعمة⁴⁹. فاستقراء مقومات الرأي العام يعزز إمكانيات - حسب المقاربة الأمريكية في السياق العراقي - توفير الأمن وتحقيق التنمية ومعالجة القضايا الأساسية. استهدفت الاستطلاعات الأمريكية الموجهة للرأي العام العراقي دراسة دوافع الدعم الشعبي لممارسات العنف السياسي وتحركات المجموعات المناهضة للغزو، من ثم سعت الإدارة الأمريكية لتكييف استطلاعات الرأي مع أجنداتها وتحويل الذهنيات والمشاعر الشعبية تجاه المجموعات المسلحة من نطاقات التقديس والتمجيد إلى مقولات الإرهاب والتجريم⁵⁰. وتوظيفاً لهذا المنطق، ركزت استراتيجية الولايات المتحدة لمكافحة الإرهاب بعد 11 سبتمبر بشكل متزايد على الدبلوماسية العامة، والمساعدات الخارجية، والتفاعلات الإيجابية العسكرية-المدنية، وتعزيز الديمقراطية، والجهود الأخرى، لكسب قلوب السكان المستهدفين وعقولهم⁵¹.

48 محمد ماضي، أمريكا تخسر معركة «العقول والقلوب» في العراق، SWI swissinfo.ch الوحدة الدولية التابعة لهيئة الإذاعة والتلفزيون السويسرية، 23 يونيو/حزيران 2004. <https://cutt.us/ZhJXr>

49 المرجع نفسه.

50 أيمن منصور ندا، البلدان العربية والإسلامية في استطلاعات الرأي العام الأمريكية (1935-2018)، المستقبل العربي، العدد 478.

51 ديفيد بولوك، نظرة مشوهة إلى قلوب وعقول العرب، معهد واشنطن، 2014. <https://is.oi/8S2z>

يجدر بالذكر أنّ الآراء السلبية حول المنطقة العربية أو المهاجرين أو الإسلام لدى الرأي العام الغربي تحظى بمقبولية أكبر وتتفاعل مع مقولات بديهية التقابل بين الطرفين، وهو ما يعزز التقييمات المعيارية في هذه التمثيلات المشتركة. كما تظهر استطلاعات الرأي العام كآلية لاستكشاف الذهنيات المشتركة حول «الآخر الغربي» أهمية المنطقة العربية لدى صنّاع القرار الغربيين، فهي إحدى الطرق المعتمدة على منهجيات علمية بجانب الدراسات والتقارير. بالإضافة إلى الاهتمام السياسي والأكاديمي والإعلامي، تظهر استطلاعات الرأي العام متمماً لدوائر البحث في المنطقة العربية وحوّلها، من ناحية أولى، ومعلنأ عن جدوى استكشاف وجهات نظر الرأي العام فيها، من ناحية أخرى. من ثمّ فارتفاع مستويات كراهية المسلمين، أو تحوّلها نحو التقبّل والتعايش، تعكس تأثيراً مباشراً وكبيراً بالدعاية الأيديولوجية المسربة إعلامياً وسياسياً وثقافياً.

ولكن بقدر ما تأثر الرأي العام الغربي بالسرديات الاستشراقية المتوارثة، بقدر ما تظهر بعض الاستطلاعات حالة من التغيّر والانفتاح على المنطقة العربية أو المنتمين إليها. وقد بدأت حالة الانفتاح مع بدايات اندلاع الانتفاضات العربية 2011، فقد ازداد اهتمام الفاعلين المؤثرين (مجتمع مدني/ صنّاع قرار/ إعلام..) باستقراء أفكار الشعوب العربية وهويّاتها وتطلعاتها. فالسياقات المتغيرة في المنطقة العربية ذاتها تؤثر في وجهات نظر الرأي العام، التي تنتجها أو تبلور توجهاتها العامة القوى المتنفذة سياسياً وإعلامياً ومجتمعياً. فالاهتمام بدراسة العالم العربي والإسلام قد اتسمت بالنفس الاستشراقي إلى حدود الثمانينيات من القرن الماضي⁵²، وأصبحت المقاربة الاستشراقية المشوبة بالأفكار النمطية

⁵² Said, E. W. The Arabs and the West: The legacy of the past. Bahithat: The West in Arab Societies: Representation and Interaction 35 – 12, 1999, 5.

والمغالطات المعرفية المحرك للرأي العام الغربي، حيث خلقت مقولات وتمثّلات متحيّزة عرقياً وثقافياً ودينيّاً تجاه المنطقة العربية⁵³، ثم عرف الرأي العام الغربي تحوّلاً ملحوظاً تجاه المنطقة العربية والمسلمين المقيمين في دولهم.

من المهم التنبيه إلى أن العدد الإجمالي للمسلمين حول العالم يقدر بنحو 1,8 مليار ابتداءً من عام 2015، أي ما يقرب من 24% من سكان العالم، وفقاً لتقدير مركز بيو للأبحاث، وفي حين أن الإسلام حالياً يعد ثاني أكبر ديانة في العالم (بعد المسيحية) فإنه الأسرع نمواً وانتشاراً نتيجة للتغيّرات الديموغرافية الراهنة. يفسر المعطى الديمغرافي والعقائدي، بالإضافة إلى سرديات التقابل بين الإسلام والمنظومة الليبرالية الغربية وسوق استهلاكية واعدة، الاهتمام المتزايد لدى وسائل الإعلام الغربية والأكاديميين والسياسيين بسبر الآراء والمساهمة في إنتاج توجّهاتها تجاه الشعوب والقضايا العربية، ومن ثم تتفاعل استطلاعات الرأي العام مع التحوّلات التاريخية المؤثرة في المنطقة العربية كانتفاضات الربيع العربي أو غزو العراق، بجانب الأحداث المؤثرة في صورتها دولياً، مثل الضربات الإرهابية أو صعود تنظيم الدولة. يبدو جلياً أن المشترك بين الرأي العام العربي والغربي تجاه قضايا المنطقة يتمثل في تصاعد الاهتمام لدى صنّاع القرار أو النخب برصد وتحليل طريقة تفكير المواطنين العاديين بهدف التوقع والتأثير في ردود أفعالهم، من ناحية أولى، وإعادة صياغة أو تعديل السياسات العامة، من ناحية أخرى.

⁵³ Said, E. W. Covering Islam: How the media and the experts determine how we see the rest of the world, 2nd edition. New York: Vintage Books, 1997.

المبحث الثاني: قضايا المنطقة العربية في ضوء استطلاعات الرأي العام الغربية

الرأي العام الأمريكي تجاه قضايا التدين والإسلام حسب استطلاعات مؤسسة بيو

خلقت سياقات التوتر والفوبيا من الإسلام في الداخل الأمريكي توجهات الرأي العام، بالأخص بعد حالة التعبئة التي تسبب بها الخطاب السياسي والإعلامي «العدواني» ضد الجالية المسلمة. ومنذ بداية الحرب على الإرهاب اتخذ الرئيس جورج بوش خطوات عديدة لطمأنة المسلمين في الولايات المتحدة والخارج إلى أن أمريكا لم تكن في حرب مع الإسلام، فقد زار مسجداً بعد مدة وجيزة من الحادي عشر من سبتمبر/أيلول وأعلن أن «وجه الإرهاب ليس الإيمان الحقيقي بالإسلام، وهذا ليس كل ما يدور حوله الإسلام؛ فالإسلام هو السلام»، ولم تسع إدارته إلى الحد من الهجرة من البلدان ذات الأغلبية المسلمة.

فيما بعد تحولت فكرة قدرة دول الشرق الأوسط على تبني نموذج الديمقراطية الليبرالية ضمن أنظمتها السياسية، على النمط الغربي، إلى مبرر أساسي وشرعي لغزو العراق؛ ففي خطاب تنصيبه الثاني زعم الرئيس بوش أن كل الناس يرغبون في الحرية ويستحقون هذه الحرية، مشيراً إلى «أن نداء الحرية يأتي إلى كل عقل وكل نفس»⁵⁴. كما حاول زعماء مهمون في الحركة المحافظة، مثل المدافع عن مكافحة الضرائب جروفنر نوركوست، إشراك المجتمعات الإسلامية الأمريكية في بعض مسائل الشأن العام. ومن ناحية أخرى، تبني العديد من الشخصيات المؤثرة في الحركة

54 El Sayed El -Aswad, Ibid.

المحافظة الخطاب الذي يدعم مواجهة الإسلام والمسلمين في الداخل الأمريكي وشيظنتهم، إذ ردت الكاتبة الصحفية آن كولتر على الهجمات الإرهابية بإعلانها: «يجب علينا أن نغزو بلدانهم، وأن نقتل زعماءهم ونحولهم إلى المسيحية»⁵⁵. وكان العديد من المحافظين البارزين يروجون، على نحو ثابت، للسرد الذي يزعم أن الحرب على الإرهاب تشكل جزءاً من صراع أكبر بين الإسلام السياسي والغرب، وأن الهزيمة الأمريكية سوف تمهد الطريق أمام الغزو الإسلامي وإخضاع الدول الغربية لمقولات الرجعية والتخلف⁵⁶.

وفي أثناء ولاية جورج بوش كان هناك انفصال بين الخطاب الصادر عن مكتب البيت الأبيض والرسالة المبالغ فيها المعادية للمسلمين التي عبر عنها قسم كبير من وسائل الإعلام المحافظة. كما انتقد العديد من المفكرين المحافظين تعليقات الرئيس باراك أوباما التصالحية في التعامل مع العالم الإسلامي، واتهم بالشروع في «جولة اعتذار» في البلدان الإسلامية، بمهاجمة سلوك بلاده وتقديم العذر عن التطرف الإسلامي. ولكن عندما تولى الرئيس ترامب السلطة لم تعد هناك أية مسافة خطائية بين البيت الأبيض والعناصر الأكثر كراهية للإسلام من رجال الدين المحافظين، بل كانت تعليقات ترامب على الإسلام في أثناء الانتخابات الرئاسية في عام 2016 وبعدها مختلفة بشكل واضح عن تعليقات سلفه، وعن الرؤساء الجمهوريين السابقين والمتنافسين على الرئاسة؛ فقد هاجم علناً استراتيجيات الرئيس بوش في الحرب على الإرهاب، فأعلن - على سبيل المثال - أن غزو العراق كان مبنياً على أكاذيب، كما انفصل عن الجمهوريين الآخرين بالدعوة إلى

⁵⁵ Varisco, D. M. Islam obscured: The rhetoric of anthropological representation: Palgrave Macmillan. 2005.

⁵⁶ El Sayed El -Aswad, Ibid.

فرض حظر كامل على هجرة المسلمين إلى الولايات المتحدة. وفي تعليقاته العلنية، لم يعط أي إشارة إلى أنه يشارك الرئيس بوش في رأيه بأن الحرية والديمقراطية في البلدان ذات الأغلبية المسلمة هي الحل لمشكلة الإرهاب، ورغم أنه لم يصرّح علنياً بهذا الموقف فقد أشار إلى أن الإرهاب يشكل في أغلبه القضية الملازمة لمعضلة الهجرة، في تماه مع آرائه المعادية للمهاجرين في حملته الانتخابية⁵⁷.

إن مواقف ترامب السياسية تختلف عن غيرها بخصوص مسائل العرق والدين؛ فالخطاب الانتخابي لترامب قد أثار مستويات عالية من التوتر أكثر من خطابات المرشحين الجمهوريين الآخرين في الانتخابات الرئاسية التمهيدية في عام 2016. ولكن ليس من الواضح أن أنصار ترامب كانوا مختلفين إلى حد كبير عن عناصر أخرى من القاعدة التي يستند إليها الحزب الجمهوري، فقد أظهر استطلاع للرأي أجري في عام 2017 أن أكثر من 60٪ من الأمريكيين يؤيدون الحظر الجزئي الذي فرضه الرئيس على الهجرة من العديد من البلدان ذات الأغلبية المسلمة⁵⁸. وأظهرت استطلاعات الرأي لمؤسسة ييو 2017 أن نسب الاهتمام والتخوف من انتشار الفكر المتطرف والتهديدات الإرهابية متقاربة بين المسلمين المقيمين بالولايات المتحدة الأمريكية والمواطنين «غير المسلمين» في ذات الدولة. حيث تكشف الاستطلاعات عن أن 7 من 10 مسلمين يشاركون الأمريكيين الآخرين هواجس التطرف والتوظيف الراديكالي للدين الإسلامي، كما عبّر 49٪ منهم عن مخاوفهم واستنكارهم لكل عمليات إرهابية محلية.

57 Ibid.

58 Shadi Hamid & Adham Sahloul, How foreign policy factors for American Muslims in 2020, Brookings Center, 3 April 2020. <https://0i.is/e6T9>

الجدول (رقم 1): مستويات التخوف من التطرف والإرهاب باسم الدين الإسلامي

العينة	مهتم كثيراً	مهتم نسبياً	غير مهتم إجمالاً
المسلمون في الولايات المتحدة الأمريكية	66 بالمئة	16 بالمئة	17 بالمئة
باقي فئات المجتمع الأمريكي	49 بالمئة	33 بالمئة	15 بالمئة

الجدول (رقم 2): مستويات التعاطف مع الفكر الراديكالي ضمن المسلمين بالولايات المتحدة

الأمريكية

العينة	موافق تماماً	نسبة بسيطة	ليس كثيراً	ليس إجمالاً	غير مهتم
المسلمون الأمريكيون	6 بالمئة	11 بالمئة	30 بالمئة	43 بالمئة	10 بالمئة
فئات المجتمع الأمريكي الأخرى	11 بالمئة	42 بالمئة	04 بالمئة	15 بالمئة	10 بالمئة

الجدول (رقم 3): مستويات استنكار قتل المدنيين لأسباب سياسية أو دينية أو اجتماعية

العينة	ليس مبرراً تماماً	يمكن التبرير أحياناً	يمكن تبريره دوماً
المسلمون الأمريكيون	67 بالمئة	8 بالمئة	21 بالمئة
باقي فئات المجتمع الأمريكي	95 بالمئة	42 بالمئة	41 بالمئة

أظهرت مختلف النتائج الخاصة باستطلاعات الرأي المقارنة بين المسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية وباقي فئات المجتمع الأمريكي أن حالة القلق والتوجس من «أسلمة» أو وصم الإسلام بالإرهاب والعنف الديني تجعلهم الأكثر استنكاراً ورفضاً للعمليات الإرهابية أو مقولات الراديكالية. كما كشفت استطلاعات مؤسسة بيو أن المسلمين هم الأكثر رفضاً لقتل المدنيين، بالرغم من استنكارهم لعمليات القبض العشوائي على الأفراد المسلمين من طرف السلطات الفيدرالية للاشتباه في ضلوعهم في عمليات إرهابية أو التخطيط لها⁵⁹. يجدر بالذكر أن نسبة كبيرة من المسلمين لا

⁵⁹ Pew Public Opinion 2017, Across U.S and Western Europe, PEW Research Center, pp 12 -10. <https://0i.is/8o56>

تشق بنزاهة المؤسسات الأمنية والقضائية الأمريكية، بمعنى أن لديها مخاوف من الاضطهاد والظلم بسبب هويتهم العقائدية في القضايا المتعلقة بالتطرف والإرهاب. كما أكد قرابة ثلث المسلمين الأمريكيين توجسهم وخوفهم الكبير (15 بالمئة) وقلقاً نسبياً (20 بالمئة) من المراقبة الحكومية لمكالماتهم الهاتفية ورسائل بريدهم الإلكتروني على أساس الانتماء الديني.

من زاوية أخرى، كان المفكرون المحافظون، والشخصيات الإعلامية، والنخب السياسية، يصفون الهوية الأمريكية عادة بأنها مبنية في الأساس على مجموعة من الأفكار التي تحدد الثقافة السياسية الأمريكية. وتشمل هذه الأفكار الالتزام بالحرية الفردية، التي تمتد جذورها إلى التقاليد الأنجلو بروتستانتية. وقد أوضح صامويل هنتنغتون هذا التعريف للهوية الأمريكية في كتابه عام 2004 (من نحن).

وفيما يتصل بالسؤال عما قد يعنيه كون المرء أمريكياً فقد قدم بعض المستجوبين العديد من الإجابات المختلفة، ولكن إجابة واحدة فقط وصفت هذا الموضوع بعبارة قانونية بحتة، حيث تؤكد أن مصطلح «أمريكياً» يعني ببساطة «مولوداً هنا أو مواطناً متجنساً». فالأغلبية الساحقة من المواضيع المقترحة أو التي ذكرت مباشرة أن تكون أمريكياً أو أمريكية يتطلب الالتزام بمبادئ ثقافية وفكرية معينة. إن أمريكا تعني بالنسبة لي على الأقل أنك تؤمن بالمبادئ التي تجعلنا فريدين كبلد: الحرية الفردية، ورأسمالية السوق الحرة⁶⁰، والالتزام بالمصلحة العامة⁶¹.

السياق العام لإنتاج الرأي العام وتأثيره في معتقداته نحو

60 El Sayed El -Aswad, Ibid.

61 Dina Smeltz & al, Rejecting Retreat, The Chicago Council on Global Affairs, September 2019 ,6. <https://0i.is/uzU2>

المسلمين ظهرت مؤشرات في استطلاع الرأي للمؤسسة البحثية بيو (PEW)⁶². إذ طرح القائمون على الاستطلاع السؤال التالي على العينة المستهدفة (من غير المسلمين) في 14 دولة من أوروبا الغربية بجانب الولايات المتحدة الأمريكية: هل يريد المسلمون فرض تعاليمهم الدينية على الأشخاص الآخرين في بلدانكم؟ وقد صُنِّفت العينة إلى مجموعة لديها معرفة وتعايش مع المسلمين، ومجموعة ثانية لا تمتلك علاقات أو تعارفاً سابقاً معهم. فعلى سبيل المثال أظهرت الاستطلاعات أن الشعب السويسري من أكثر من المجتمعات الأوروبية تقارباً وتعاملاً مباشراً مع المسلمين بنسبة 85 بالمئة، ليفتد ما يقرب من 80 بالمئة منهم رغبة المجموعات المسلمة في فرض تعاليمها الدينية عليهم أو داخل بلدانهم. ترافق السؤال حول مدى معرفتهم بالمسلمين و الإسلام بإجابات متنوعة مثل «كثيراً» أو «قليلاً» وكذلك «ليس كثيراً» و «لا شيء على الاطلاق». بغض النظر عن مستوى معرفتهم بالإسلام فإن نسبة مماثلة من الناس في معظم البلدان التي شملها الاستطلاع لا تتفق مع العبارة القائلة بأن المسلمين «يريدون فرض قوانينهم الدينية على أي شخص آخر في البلاد». البالغون السويسريون الذين يعرفون كثيراً عن الإسلام، على سبيل المثال، هم أكثر اختلافاً مع العبارة بنسبة 4 نقاط مئوية فقط من أولئك الذين يعرفون القليل عن الإسلام.

تتم استطلاعات الرأي العام بالتساؤل عن استعداد شعوب الدول الغربية للتعايش مع المسلمين، الذين بدؤوا تدريجياً يمثلون الجماعة الدينية الأسرع نمواً في العالم، حيث تتداخل في الذهنيات الغربية مسائل ذات أبعاد راديكالية مثل الجماعات المتطرفة والعنف

⁶² Pew Public Opinion 2017, Across U.S and Western Europe, PEW Research Center.

<https://0i.is/8o56>

الديني ومجازر تنظيم الدولة، والقاعدة سابقاً، بجانب مشاكل الهجرة والاندماج في تصوراتهم المشتركة حول المسلمين.

الرأي العام الأوروبي والأمريكي تجاه قضايا المهاجرين واللاجئين حسب استطلاعات مؤسسة بيو

بالرغم من أنهم يمثلون ما يزيد على 1 بالمئة من عدد السكان فإنه لا يزال يُنظر إلى المسلمين الأمريكيين بقدر كبير من التشكك منذ الثورة الإيرانية وأزمة الرهائن في أواخر السبعينيات، ولكن المواقف الأمريكية تجاه الإسلام تحولت إلى اتجاه سلبي بشكل خاص في أعقاب الهجمات الإرهابية في الحادي عشر من سبتمبر/أيلول، التي ألقى العديد من الأمريكيين باللوم فيها بشكل مباشر على المذاهب الدينية الإسلامية. وقد أظهر اليمين السياسي في الولايات المتحدة في المتوسط قدراً من التشكك في الإسلام والمسلمين أكبر من ذلك الذي أظهره اليسار السياسي، كما أعرب العديد من الشخصيات الإعلامية المحافظة عن قدر كبير من العداوة للمسلمين، ولكن زعماء سياسيين وفكرين محافظين آخرين دعوا إلى التسامح الديني، وعلى هذا فقد تلقى المحافظون في الناخبين رسائل مختلطة من الجمهوريين المنتخبين وزعماء الرأي المحافظين، وأصبحت المواقف الأمريكية تجاه الإسلام والمسلمين موضوعاً بالغ الأهمية بعد انتخاب دونالد ترامب رئيساً للبلاد.

ويشير صعود المشاعر المناهضة للمسلمين إلى تحول أعمق في نظام الحزب بعيداً عن الانقسامات الاقتصادية نحو الانقسامات «الثقافية». فالمواقف تجاه المسلمين والإسلام تصبح شكلاً من أشكال التعامل مع الأنظمة الديمقراطية الغربية من خلال التساؤلات حول الثقافة والدين والهوية والقومية. والواقع أن القرار الذي اتخذته المستشار الألمانية أنجيلا ميركل، في عام 2015، بفتح

حدود ألمانيا، فتح المجال الإعلامي والعام الألماني لتساؤلات جديدة حول «من نحن؟». إن ألمانيا الغربية القديمة تربط هويتها بقربها من أوروبا ورؤيتها الخاصة للتكامل فيما بينها و مع باقي مكونات الاتحاد الأوروبي بما تفرضه من قناعات ما بعد القومية والعلمانية إلى حد ما⁶³.

يبدو جلياً، من خلال استقراء استطلاعات الرأي التي قامت بها مؤسسة بيو (PEW) البحثية الأمريكية في عام 2017 أن غالبية العينة المستهدفة في الولايات المتحدة الأمريكية وعدد من دول أوروبا الغربية (فنلندا/ البرتغال/ إسبانيا/ السويد/ بريطانيا...) قد أظهرت الاستعداد الجمعي والمشارك لتقبّل المسلمين في مجتمعاتهم (الأحياء/ الجيران/ المدارس...). كما أظهرت شعوب دول أوروبية، مثل هولندا والنرويج، استعدادها لقبول أحد المسلمين فرداً من عائلتها⁶⁴. كما أظهرت النسب المتوية أن الشعوب الغربية بدأت تتعوّد على وجود المسلمين كجزء من مجتمعاتها، على الرغم من غياب حالة التوافق أو الاطمئنان تجاه «الدين الإسلامي». إن واقع التعايش مع اللاجئين «السوريين» (على وجه الخصوص)، والمهاجرين المقيمين في هذه الدول، قد خلق تعاطفاً مع الآخر المسلم مع استمرارية الانقسام والتوجُّس حول الإسلام ذاته.

ما زالت إشكاليات التوافق بين الإسلام والديمقراطية تثير مخاوف الرأي العام الغربي، والتغطية الإعلامية المستمرة لعدم الاستقرار السياسي في المنطقة العربية ما بعد 2011، وصعود تنظيم

⁶³ Nahal Sahgal & Besheer Mohamed, In the US and Western Europe, people say the accept Muslims, but opinions are divided on Islam, FACTTANK, Pew Research Center, October 2019, 8. <https://oi.is/kzhl>

⁶⁴ Pew Public Opinion 2017, Ibid.

الدولة، بجانب قضايا حقوق المرأة، تزيد من رفض تعاليم الدين الإسلامي، ومن ثم فالآراء المتعلقة بالمسلمين يستبطنها المواطن في عدد من الدول الغربية من خلال مرجعية ثقافية حقوقية تميل إلى ترسيخ القيم الليبرالية (الحريات...) في الحياة اليومية، ولكنها- في ذات الوقت- تستنكر خصوصية الدين الإسلامي أو ترفض التعرف عليه بسبب تراكمات أيديولوجية وثقافية ترسّخت قروناً في الذهنية الشعبية. ولا شك أن التغطية الإعلامية المكثفة للجرائم والانتهاكات التي قام بها تنظيم الدولة وغيرها من الميليشيات ما بعد 2011 قد زادت من الاختزال التقليدي للإسلام في التمثيلات الراديكالية.

ويجدر بالذكر أن مسألة حماية الهوية الوطنية الغربية تحرك التصوّرات الجمعية حول الإسلام، فالمسلمون المقبولون كجيران أو أفراد من العائلة يجب أن ينسجموا ويتعايشوا مع الثقافة والقيم الغربية حسب ذات الاستطلاع. كذلك، أظهرت استطلاعات الرأي لمؤسسة بيو أن فئة المستجوبين الأعلى مستوى تعليمياً تعد الأعلى قدرة على التعايش وتقبّل المسلمين. فعلى سبيل المثال ما يقارب 86 بالمئة من المستجوبين المتحصّلين على شهادة جامعية بالولايات المتحدة الأمريكية عبّروا عن تقبلهم لأفراد مسلمين في عائلاتهم؛ في حين كانت النسبة 75 بالمئة من غير المتحصّلين على شهادة جامعية. أمّا في المملكة المتحدة فقد أظهر الاستطلاع استعداد 71 بالمئة من الجامعيين لتقبل المسلمين أفراداً في عائلاتهم، والتعامل معهم كجيران، مقابل 44 بالمئة من غير المتحصّلين على شهادة جامعية⁶⁵.

65 المرجع نفسه.

الجدول (رقم 4) المتعلق بسؤال تقبل المسلمين جيراناً أو أفراداً من العائلة في الولايات المتحدة الأمريكية وعدد من دول أوروبا الغربية (استطلاعات 2017 للمؤسسة البحثية بيو PEW)

الدول	تقبل المسلمين جيراناً	تقبل المسلمين أفراداً من العائلة
الولايات المتحدة الأمريكية	%98	%97
بريطانيا	%87	%35
الدنمارك	%19	%18
هولندا	%69	%88
البرتغال	%38	%07
إسبانيا	%09	%47

كما يظهر الجدول، المأخوذ عن استطلاعات الرأي لسنة 2017، فإن واقع التعايش مع الأعداد المتزايدة للمهاجرين أو اللاجئين والتعامل معهم يومياً يجعل نسبة مرتفعة من المجتمعات الأوروبية قادرة على التعرف اللصيق بالمسلمين. لذلك، أنتجت عملية التعايش آراء إيجابية جماعية في الذهنية الأوروبية حول المجموعات المسلمة، على الرغم من ظهور حالة من الفصام لديهم بين المسلمين كأفراد ودينهم الإسلامي؛ فقد أبرزت الاستطلاعات ذاتها عزوف هذه الشعوب عن استكشاف أو الانفتاح على الإسلام كتحاليم دينية، بجانب تراجع مستويات المشاعر الإيجابية أو التفاعل الحيادي تجاهه. اهتم استطلاع الرأي هذا بطرح أسئلة عديدة حول مواقف الشعوب الغربية حول مدى توافق الإسلام مع قيم مجتمعاتهم وثقافتهم⁶⁶. كذلك، تقاربت مستويات التقبل بين مختلف دول أوروبا الغربية، حيث أظهر الشعب الهولندي، بنسبة 96 بالمائة، الاستعداد لتقبّل المسلمين متساكنين في أحيائهم. أمّا إسبانيا فقد عبّر ما يناهز الـ90 بالمائة عن تعايشهم مع فكرة الجوار مع المسلمين، في حين أكد 74 بالمائة قدرتهم على التعايش

⁶⁶ Pew Public Opinion 2017, Ibid.

مع فرد مسلم في عائلاتهم. أمّا الولايات المتحدة الأمريكية فقد أبدى ما يناهز الـ79 بالمئة تقبلهم لفرد مسلم داخل عائلاتهم. أما أقل مستويات التقبل فقد سجلت لدى الشعب الإيطالي، حيث بلغت نسبة الاستعداد لاستقبال فرد مسلم في الأسرة 43 بالمئة، رغم ارتفاع الهجرة القانونية وغير النظامية إليها من كل دول شمال إفريقيا.

الرأي العام الغربي تجاه الصراع الإسرائيلي الفلسطيني

فحسب استطلاعات الرأي العام التي أجرتها مؤسسة سير الآراء غالوب (Gallup) لعام 2020، والتي قد تعلقت برصد الشؤون العالمية مع تخصيص أسئلة حول الكيان الإسرائيلي. تهتم مختلف مؤسسات سير الآراء الأمريكية بقياس مستويات الرضا عن سياسات الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية الداعمة للكيان الإسرائيلي ومواقفها من القضية الفلسطينية. فقد اهتم استطلاع غالوب 2020 بقضايا ثلاث كبرى: وجهات النظر تجاه كل من السلطة الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية، ثم مستويات التعاطف المزدوج مع طرفي الصراع، بالإضافة إلى التساؤل حول دعم إقامة دولة فلسطينية مستقلة.

تحتل استطلاعات الرأي الخاصة بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني بتغطية إعلامية واهتمام سياسي كبير في مختلف الدول، بالأخص الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الإسرائيلي⁶⁷.

يهتم استطلاع الرأي، مثل سير الآراء الذي قامت به مؤسسة بيو الأمريكية لسنة 2019، باستقراء توجهه السياسي لعموم الأمريكيين، واليهود منهم، بخصوص التصريحات التي أدلى

⁶⁷ Gallup Public Opinion 2020, Public Sympathy Toward Isreal/Palestinians, March 2020. https://news.gallup.com/topic/country_isr.aspx

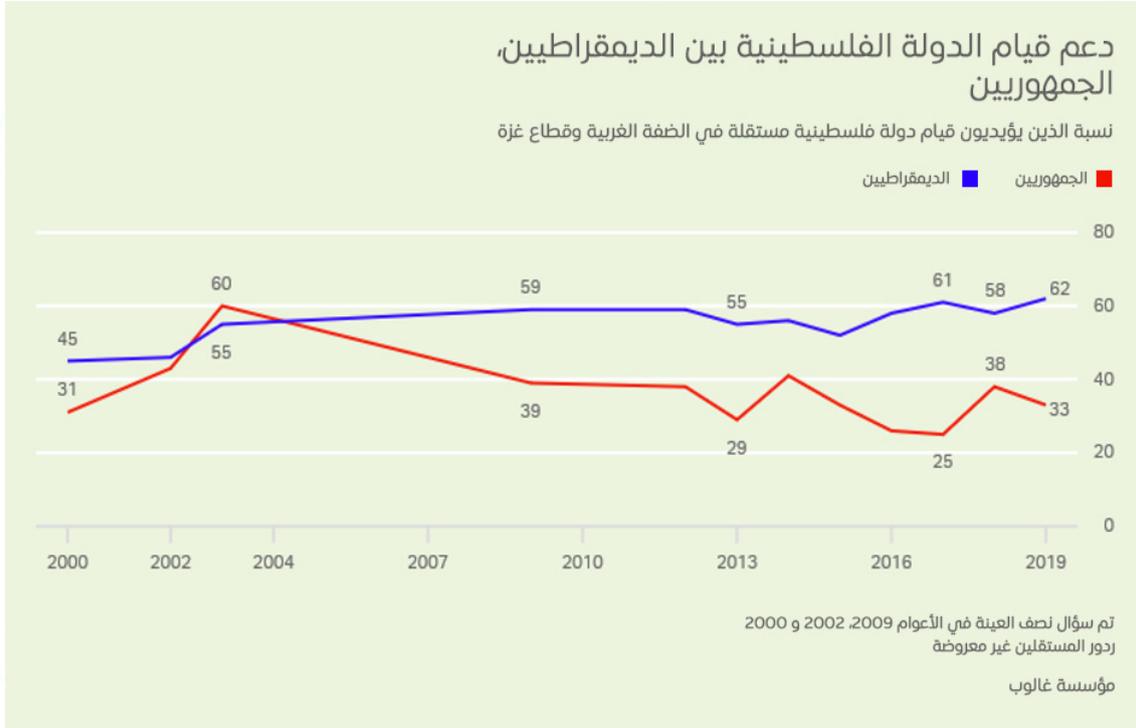
بها الرئيس الأمريكي رونالد ترامب تجاه صفقة القرن، والحلّ المرتقب آنذاك للصراع الإسرائيلي الفلسطيني. فقد أظهر ترامب، منذ بدايات حملته الانتخابية وخلال رئاسته، دعماً عاماً للكيان الإسرائيلي من خلال خطاباته ومواقفه السياسية تجاه قضايا الشرق الأوسط، ومن ضمن ذلك استنكاره وتهجمه على مواقف أعضاء الكونجرس الديمقراطيين، الذين وصفهم بأنهم معادون للسامية ومعادون للكيان الإسرائيلي⁶⁸. ورغم ذلك، فقد ركز جزء كبير من التحليل على المسوحات المحددة وتجاهل الاتجاهات طويلة الأجل، والأحداث الحاسمة التي قد تشرح النتائج وتضعها في سياق تاريخي واستراتيجي⁶⁹. رصد استطلاع الرأي تطوّر المواقف الشعبية تجاه النزاع الإسرائيلي-الفلسطيني على مدى عقدين كاملين (2000-2020)، فقد أظهرت النسب المرصودة أنه لطالما تمثّل الأمريكيون الكيان الإسرائيلي بشكل إيجابي، على عكس التصوّرات السلبية المتعلقة بالسلطة الفلسطينية، وأظهروا تعاطفاً أكبر مع الحكومة والشعب الإسرائيلي مقارنة بمستويات التعاطف مع الفلسطينيين، لكن الأمريكيين يدعمون إقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة.

68 موقع عرب 21، استطلاع: جيل أمريكي جديد أكثر تعاطفاً مع الفلسطينيين، 8 مايو/أيار 2020.

<https://i.is/nmzC>

69 مركز الناطور للدراسات والأبحاث، مركز بيغن السادات للدراسات الاستراتيجية -الجمهورية الأمريكية والنزاع الإسرائيلي الفلسطيني 2000-2020، 11 مايو/أيار 2020. <https://cutt.us/nkTgK>

الجدول (رقم 6): هل تؤيد أو تعارض قيام دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة؟



كشف استطلاع الرأي لمؤسسة غالوب لسبر الآراء عن موقف الأمريكيين من الكيان الإسرائيلي وشرعية الاستيطان على الأراضي الفلسطينية، حيث أجاب عن التساؤل الخاص بخيار التعاطف مع أحد طرفي النزاع؛ فأعرب 60 بالمئة من الأمريكيين عن تعاطفهم مع الكيان الإسرائيلي على الرغم من أن مستويات الدعم تقدمت عن نظيرتها لسنة 2019 بنقطة واحدة، وما يقارب 4 نقاط عن النسب المرصودة في سنة 1967 بعد النكسة. أمّا دعم حق الفلسطينيين فقد ناهز 23 بالمئة، وهي أعلى نسبة منذ سنة 1990.

تتراوح مستويات التأييد للكيان الإسرائيلي حسب السياقات السياسية، وزخم الخطاب السياسي الأمريكي الداعم أو المتردد للانتهاكات التي تمارسها الحكومة الإسرائيلية ضد الفلسطينيين، ففي حين أن مستويات تأييد الفلسطينيين لا ترتفع أو تتغير بسهولة، يتعاطف الأمريكيون مع الفلسطينيين أكثر قليلاً من تعاطفهم

مع الدول العربية، لكن نتائج استطلاعات الرأي التي تطلب من العينة المستجوبة الاختيار بين الكيان الإسرائيلي والفلسطينيين لم تختلف كثيراً عن الاستطلاعات الأخرى.

الجدول (رقم 7): حول حل إقامة الدولتين الفلسطينية والإسرائيلية (مؤسسة غالوب 9 أكتوبر 2018)

الجمهويون	الديمقراطيون	أسئلة سبر الآراء
42 بالمئة	84 بالمئة	حل الدولتين فلسطينية وإسرائيلية. تقام الدولة الفلسطينية على مناطق الكيان الإسرائيلي لسنوات 1967.
33 بالمئة	63 بالمئة	حلّ الدولة الواحدة: دولة ديمقراطية موحدة حيث يتعايش العرب واليهود كمواطنين متساوين على كامل الأراضي الفلسطينية والإسرائيلية الحالية.
41 بالمئة	3 بالمئة	الإلحاق دون مواطنة متساوية: الكيان الإسرائيلي يتحصل على الأراضي الفلسطينية مع الإبقاء على الأغلبية اليهودية، وتحديد القيود على الحقوق المواطنة -المدنية للفلسطينيين.
11 بالمئة	8 بالمئة	استمرارية حكم الكيان الإسرائيلي على الأراضي المحتلة في 1967 مع الحفاظ على بقاء الفلسطينيين بها.

بناء عليه، وحسب استطلاع رأي مؤسسة غالوب لسنة 2020 أو مؤسسة بيو لسنة 2019، بدا أن لدى الأمريكيين تعاطفاً مع كلا الطرفين بمستويات متفاوتة تميل إلى كفة الكيان الإسرائيلي، وتقدماً طفيفاً تجاه الفلسطينيين. كما أظهرت الاستطلاعات أن الأمريكيين يفرقون بين الحكومات والشعوب، حيث أجري استطلاع من 1 إلى 15 ابريل 2019 ، على 10523 من البالغين على المستوى الوطني بالمركز، وسئلت مجموعة من الناس عما إذا كانت لديهم آراء إيجابية أو غير موثقة عن الشعب الإسرائيلي، وبشكل منفصل عن الشعب الفلسطيني، وطلب من مجموعة أخرى

من المستجوبين إبداء آرائهم في الحكومة الإسرائيلية والحكومة الفلسطينية. على مدى عقود- كان آخرها العام الماضي (2019)- طرح مركز بيو سؤولاً مختلفاً حول هذا الموضوع: «في الخلاف بين إسرائيل والفلسطينيين، مع أي جانب تتعاطفون أكثر؟»، وقد طرح المركز هذا السؤال منذ عام 1993، لأكثر من عقد من الزمان قبل ذلك، وضُمَّ من في الاستطلاعات التي أجرتها غالباً لمجلس شيكاغو للعلاقات الخارجية⁷⁰.

كما يظهر من خلال استطلاع الرأي لمؤسسة غالوب أن حل الدولتين يحظى بالقبول لدى الرأي العام الأمريكي بشرط إقامة الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة فقط. ويلقى حل الدولتين تشجيعاً وتأييداً كبيراً لدى الأوساط الأمريكية، ويرون فيه حلاً لحالة النزاع المتواصل مع الكيان الإسرائيلي في منطقة الشرق الأوسط.

70 Carrol Doherty, A new perspective on Americans' views of Israel and Palestinians, PEW research Center, 24 April, 2019. <https://0i.is/blkc>

المبحث الثالث: قضايا المنطقة العربية على ضوء الرأي العام العربي

الرأي العام العربي تجاه قضايا الديمقراطية وأنظمة الحكم حسب استطلاعات المؤشر العربي

خلقت انتفاضات الربيع العربي، وما رافقها من تحولات سياسية واجتماعية مستمرة على مدى عشر سنوات كاملة إرادة جمعية لمراجعة أدوار الأفراد في التأثير في المشهد السياسي والسياسات العامة، وقد منحت تلك الانتفاضات، بشكل مباشر وغير مباشر في أغلب الدول العربية، الرأي العام صوتاً مسموعاً نسبياً، ودفعت مؤسسات سبر الآراء المحلية والدولية لاستكشاف ديناميات الحراك في الشارع العربي، والتعرف على مقومات العلاقة «الجديدة» بين المواطنين والسلطة (خاصة في تونس/ مصر/ المغرب..).

مثلت الانتخابات المتتالية والحراك الاحتجاجي فرصاً مواتية لقياس ودراسة الشارع العربي من داخل سياقاته، والتساؤل حول مستويات الرضا عن السلطة الحاكمة بجانب القضايا الخلافية والمفروضة على المجتمعات العربية من جراء الاستقطاب الأيديولوجي.

تسمح استطلاعات الرأي للمؤشر العربي، الذي ينظمه ويرعاه المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في الدوحة، مختلف دول المنطقة العربية (13 بلداً عربياً)، ويهدف إلى الاهتمام بموضوعات ذات بعد سياسي واقتصادي واجتماعي على أساس تقنيات المقابلات الشخصية مع العينة. فعلى سبيل المثال تعرض المؤشر العربي لسنة 2019-2020 لاتجاهات الرأي العام العربي حول

مسائل الديمقراطية، ليسجل أن الأغلبية تؤيد الديمقراطية كنظام حكم بنسبة 76 بالمائة⁷¹.

الجدول (رقم 8): سبر الآراء حول مستويات الثقة بمؤسسات الدولة ما بعد 2011 في عدد من الدول العربية (مؤشر الرأي العربي لمركز الأبحاث ودراسة السياسات «المؤشر العربي» لسنة 2018)

المؤسسة الحكومية	ثقة كبيرة	فقدان للثقة نسبياً	تحفظ عن الإجابة	ثقة نسبية	فقدان تام للثقة
المؤسسة العسكرية	86	6	1	22	3
المؤسسة الأمنية	36	51	1	39	9
القضاء	26	17	3	42	12
الوزارات والحكومة	22	21	2	33	22
البرلمان	14	23	4	28	31

الجدول (رقم 9): سبر الآراء حول مستويات الفساد في العمل الحكومي لدى الدول العربية (المؤشر العربي 2018)

السنة	منتشر جداً	منتشر نسبياً	انتشار محدود	ليس منتشرأ	رفض الإجابة
2011	65	82	7	3	6
2013 - 2012	56	92	7	4	4
2015	47	33	12	6	3
2016	46	33	14	4	3
2018 - 2017	45	31	15	6	3

الرأي العام العربي تجاه القضايا الاقتصادية والاجتماعية حسب المؤشر العربي

أظهرت مسارات الانتفاضات العربية لسنة 2011 أن الرأي العام المحلي غير راضٍ عن السياسات العامة وطرق تسيير الشؤون العامة، بالإضافة إلى غضبه من المستويات المتدنية من الانفتاح

⁷¹ المؤشر العربي 2020، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. <https://cutt.us/DQjkV>

السياسي والحريات والحقوق المدنية. في خضم هذه التحولات السياسية برزت الانقسامات حول الهويّات الدينية والعرقية، حيث عززت الاحتجاجات الشعبية تصاعد الغضب من ممارسات الإقصاء والتهميش، فقد أصبح الرأي العام يتبلور ويتحرك تحت تأثير الحركات الاجتماعية والإعلام التقليدي، بجانب فعالية مواقع التواصل الاجتماعي، فقد جعلت التقنيات الرقمية وسائل التواصل الاجتماعي الملجأ لتثوير الرأي العام والدفع به إلى عمق الشأن العام من خلال تحركات المجتمع المدني والمؤسسات الإعلامية أو مؤسسات سير الآراء المعنية بلورة الآراء وترتيبها وتقوية مستويات تأثيرها⁷².

وأُتاحت وسائل التواصل الاجتماعي وسيلة أسرع وأقل تكلفة لنقل المعلومات بين الأفراد والمجموعات والمنظمات في عصر العولمة. كذلك عرفت الفئات المهمشة اجتماعياً أو اقتصادياً أو جندرياً، بالإضافة إلى القوى السياسية، مواقع التواصل الاجتماعي كفضاءات مفتوحة للتأثير المباشر في توجهات الرأي العام، وأثبتت قدرتها على تحريك الشارع خلال الانتفاضات في مختلف الدول العربية، منذ 2011، لتتطور نجاتها مع الانتشار المتسارع لاستطلاعات الرأي⁷³. اهتمت هذه الأخيرة باستقراء مواقف الشعوب المحلية من القضايا الراهنة، مثل مسارات الديمقراطية والأحزاب والتدين والحريات الفردية، وغيرها من المسائل الاقتصادية والاجتماعية العالقة. وقد ساعد الاستخدام المتزايد لمواقع التواصل الاجتماعي لدى مختلف فئات المجتمع العربي على تسهيل استطلاعات الرأي، فقد وظفت حالة الانفتاح السياسي والحراك الاحتجاجي

72 ليلي أحمد جزار، الفيس بوك والشباب العربي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012.

73 أشرف العيسوي، وسائل التواصل الاجتماعي: تأثيرات متنامية وأدوار شائكة في العالم العربي، مركز تريندز

للبحوث والاستشارات، 25 مارس/آذار 2020. <https://cutt.us/JInso>

للتساؤل حول مستويات ثقة الشعب وآرائهم في مشاكل التحوّل الديمقراطي (البطالة/ الانتخابات/ الفساد/ الإصلاح التربوي/ الحقوق الفردية..)⁷⁴. عرفت أغلب الدول العربية انتشاراً واسعاً لمؤسسات سبر الآراء، حيث يزداد نشاطها وتأثيرها في الرأي العام خلال الانتخابات مثلما يحصل في المغرب وتونس ومصر، لكن بلور المؤشر العربي رؤية أكثر شمولاً وتجميعاً للرأي العام في أغلب الدول العربية، ومن ثم فاستطلاعات الرأي في المنطقة العربية ذاتها تدور حول استطلاعات وطنية وأخرى إقليمية.

الجدول (رقم 10): تقييم المستجيبين للأوضاع الاقتصادية في بلدانهم (عن المؤشر العربي 2018)

التقييم/ الدول	السعودية	البحرين	الكويت	مصر	العراق	تونس	لبنان	فلسطين	الأردن
جيد جداً	45	21	9	6	1	1	1	1	1
جيد	33	14	44	61	26	8	9	28	23
سيئ	4	35	30	28	49	33	48	44	39
سيئ جداً	1	12	12	4	23	57	42	26	37
لا أعرف	8		5	1	1	1			

كشفت استطلاعات الرأي العربية (المحلية) عن حالة من السخط الجماعي على الأوضاع الاقتصادية المتدهورة، والغضب المعلن من الفساد المنتشر بين النخب السياسية؛ فبلغت مستويات الغضب أو الاستياء من الأوضاع الاقتصادية نسباً مرتفعة في كل من تونس ولبنان، بـ 57 بالمئة و 42 بالمئة، مقارنة بدول أخرى مثل المملكة العربية السعودية (1 بالمئة). أمّا الاقتصادات العربية التي حصلت تقييم ممتازة من طرف مواطنيها فتحتزل في دول الخليج العربي، حيث أظهرت النتائج أن المملكة العربية السعودية

⁷⁴ المرجع نفسه.

تصدر الترتيب بـ 54 بالمئة بفارق شاسع عن دولة الكويت (12 بالمئة)، أمّا بقية الدول العربية فتستقر نسبة الرضا التام عن الوضع الاقتصادي عند نسبة 1 بالمئة، باستثناء المغرب (9 بالمئة). كما أظهرت ارتفاعاً في مستويات الوعي بين مختلف الطبقات الاجتماعية، وهو ما يعزّز الاعتقاد بالتموقع التدريجي والمؤثر لمواقف الرأي العام في السياسات العامة رغم استمرارية مظاهر الاستبداد والفساد. فقد أثارت الجدلالات الإعلامية وفي الشارع مستويات العداء وانعدام الثقة الشعبية بالأنظمة السياسية القائمة خلال هذا العقد، لكن من الصعب الاستنتاج أن الانتفاضات الشعبية وحادّة الحراك الاحتجاجي في بعض الدول العربية قد جلبت مستويات أعلى من الحريات السياسية والمدنية (حرية الرأي/ الإعلام...) مع تدهور اقتصادي، بمعنى أن استطلاعات الرأي العام أصبحت ترصد هذه التناقضات وحالة الغليان في الشارع العربي. يزداد السخط الشعبي على النخب السياسية، فمعظم استطلاعات الرأي المحلية، أو باروميتر العربي، تؤكد الاعتقاد الراسخ باستحواذها على المناصب وثروات البلاد على حساب الطبقات الاجتماعية الوسطى والفقيرة⁷⁵. كما تظهر استطلاعات الرأي في دول مثل العراق أو البحرين، حيث تحتد مشاكل الصراع الطائفي، أن التحولات السياسية والاجتماعية المصاحبة لحراك الربيع العربي قد غيرت خريطة النفوذ المذهبي والعرقي؛ فمسألة التعايش بين مختلف المجموعات الدينية والمذهبية (أقباط/ مسلمون/ شيعة/ سنة/ يهود...) شهدت حالة المراوحة بين التعايش والكراهية حسب السياقات السياسية المحلية والإقليمية

⁷⁵ Yildirim, A. Kadir, and Meredith McCain. The Aftermath of the Arab Spring Protests: What a Public Opinion Survey Tells Us. Policy brief. Rice University's Baker Institute for Public Policy, 23 September 2019. <https://oi.is/2geA>

(مثل صعود تنظيم الدولة/ ضربات إرهابية...) ⁷⁶.

تبيّن من مختلف استطلاعات الرأي العام، التي جرى التعرض لها في مسار هذه الورقة السياسية، أن الريع العربي قد أيقظ في الشعوب العربية الطموح والوعي الجمعي تجاه الحريات السياسية، والقضاء على الفساد، والعدالة الاجتماعية، وتحسين الأوضاع الاقتصادية، وغيرها من المطالب. كما تطورت اهتمامات الرأي العام من قضايا الديمقراطية والاستبداد إلى المسائل المعيشية والظروف الاقتصادية والثقة بالسياسيين. من ثم فمطالب الشعوب أصبحت تتبلور في العدالة الاجتماعية ومقاومة الفساد وإبداء الرأي في مكانة المرأة وقضايا أخرى خلافية (الحقوق الفردية/ دولة مدنية/ الحريات...) ⁷⁷.

وتغلب المشاغل الاقتصادية على اهتمامات الرأي العام في دول العراق وتونس ومصر ولبنان، كما تغلب عليهم مخاوف عدم الاستقرار السياسي، والتشكي من استسراء الفساد، وهيمنة النخب السياسية، والهواجس من الإرهاب، وتصدرت العدالة الاجتماعية قائمة الأهداف في مصر والجزائر وتونس، في حين كان المغرب هو البلد الوحيد الذي صنّف الكرامة باعتبارها الهدف الأهمّ.

76 Ibid.

77 Ibid.

الاستنتاجات

تقدم استطلاعات الرأي تقييماً مستتراً لأداء الحكومة من حيث الفعالية والجدوى في تنفيذ السياسات العامة المخصصة للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي يواجهها الناس في حياتهم اليومية. وفي هذه الحالة يرسل الرأي العام رسالة قوية مفادها أن المواطنين يتوقعون من حكومتهم لا احترام تصويتهم فقط، ولكن أيضاً حلاً لمشاكل الفقر وعدم المساواة وانعدام الأمن.

في الواقع، تتعرض الشرعية السياسية لأغلب الحكومات التي عايشت الربيع العربي لتهديدات عدم الثقة الشعبية، حيث تراجعت فعالية مصداقيتها وتأثيرها، دافعة المواطنين إلى التشكيك في جدوى مؤسسات الدولة. فالارتباط الوثيق مع فعالية سياسات الدولة بتمثيلات الأفراد يرتكز في الغالب على تصوراتهم بخصوص الشرعية السياسية (المستوى المعياري) للفاعل الحكومي والمؤسسي بجانب المقاربة الجمعية للمنجزات الحكومية حسب المخيال الشعبي (وليس التزاماتها الدستورية أو القانونية فقط). كما تحتوي استطلاعات الرأي العام على مواقف المواطنين من السياسات العامة ذاتها (المستوى الإجرائي) حيث تظهر مستويات الرضا أو السخط عن الخدمات العامة وطرق تسير الشأن العام والشفافية والضرائب من جراء تصوراتهم حول شرعية النظام العام (التي تحظى بها الإدارة). كذلك، يظهر من خلال الاستطلاعات المواقف الجماعية من المستوى التنظيمي المتعلقة بالنظام السياسي والدولة، بمعنى أنها تكشف الميولات السياسية والأيدولوجية للعموم ومصادر معلوماتهم (إعلام/ أحزاب...)، بالإضافة إلى الاختلافات الحاصلة ضمن التمثيلات الجمعية حسب المحددات الجندرية والاجتماعية

والحزبية والعرقية والتعليمية.. إلخ⁷⁸.

يعتمد الرأي العام الأمريكي عند تعاطيه مع قضايا المنطقة العربية أو المقيمين على أراضيها (العرب/ المسلمين) على مجموعة من المعطيات؛ أولها قياس مواقفهم المناهضة أو المتقبلة لارتفاع عدد المهاجرين ومستويات الإنفاق العام على سياسات الأمنة والحرب على الإرهاب على أساس وجود أو غياب تهديد اقتصادي وثقافي مباشر عليهم، ففي الغالب تتحرك الشعوب الغربية بمخاوف على مصالحها الاقتصادية (الوظائف/ ارتفاع البطالة/ المصاريف الصحية..)، بجانب معتقدات ثقافية (إلصاق تهم الجريمة والإرهاب بالمهاجرين/ التخوف من الإسلام..)، ولكن أثبتت استطلاعات الرأي العام أن المخاوف الشخصية للأمريكيين تتجاوز البعد الاقتصادي أو الثقافي لتستوعب ملامح الهوية الوطنية كما تتجلى في المخيال أو الوعي الجمعي⁷⁹.

تمثل استطلاعات الرأي العام فرصة لإظهار حالة الإجماع حول مقومات الهوية الاجتماعية، ومحركاً لديناميات التماسك داخل الولايات المتحدة الأمريكية، بمعنى أن مشاعر الوحدة الوطنية بما تستوعبه ضمنها من ثنائيات التضاد بين «نحن» و«هم» تتكشف في مواقف الأمريكيين من الإسلام والمسلمين⁸⁰. من ثم فللعوامل النفسية دور رئيسي في استطلاعات الرأي عندما يكون

⁷⁸ Carroll J. Glynn & al, Ibid.

⁷⁹ Hainmueller, Jens, and Daniel Hopkins. 2015. The Hidden American Immigration Consensus: A Conjoint Analysis of Attitudes toward Immigrant. American Journal of Political Science 48–529 :59. <https://oi.is/Sy0X>

⁸⁰ Eva Mayerhoffer & al, Public Opinion Polls as an Input Factor of Political Communication, Political Communication Cultures in Europe, Pfetsch (ed), Palgrave Macmillan, 2014, pp 125-105. <https://oi.is/W4QM>

ثمة معطى الصراع المتبادل والكرهية بين مجموعتين أو دولتين، وتتفاعل العوامل النفسية مع أحداث خارجية مزعومة للأمن القومي، وهو ما يعزز المخاوف لدى الرأي العام والقيادات السياسية والنخبوية عموماً.

يتكوّن الموقف الشعبي المشترك الذي يظهر من خلال عمليات سبر الآراء، من خلال التراكمات المعرفية التي تشكلها في الغالب وسائل الإعلام حول الذات والآخر. فالرأي العام الغربي تجاه المنطقة العربية يخضع للعديد من الإكراهات والمخاوف، مثل العوامل الاقتصادية والسياسية والنفسية. يبدو جلياً أن الرأي العام الغربي يتفاعل مع التحديات التي تعيشها الإدارة الأمريكية، وتتغير مواقفه حسب التوجهات الدبلوماسية الخارجية (وفاق/ تعاون/ تصادم/ حرب). عايش الرأي العام فترات طويلة من الصدام والتخوف من المنطقة العربية، حيث أنتجت الماكينة الإعلامية والسياسية للبيت الأبيض أعداء وهميين (وفعليين في بعض الأحيان) مثل التهديدات الإرهابية، وتشظي الهوية الوطنية، والأمن القومي، والملف النووي الإيراني.. إلخ. كما يبدو جلياً أن وسائل الإعلام التقليدية أو الإلكترونية قد أسهمت في تكوين الرأي العام العربي والغربي على حد سواء، من خلال أشكال التفاعل المتعددة والمستمرة مع الجمهور المستهدف. تمتلك وسائل الإعلام مصادر المعلومات والقدرة على إعادة إنتاجها بما يتلاءم مع دوافع سياسات التحرير الخاصة بها. واختلاف مرجعيات ومصالح القوى المسيطرة على الإعلام تجعل طرق إعادة بلورة المعلومة وأشكال التأثير في الرأي العام ليست بالضرورة موضوعية أو محايدة⁸¹. يتأتى التأثير العميق لوسائل الإعلام في الرأي العام من خلال قدراتها

81 أشرف العيسوي، مرجع سابق.

على تحديد المواضيع الأكثر أهمية لدى الجدل العام، بالإضافة إلى تقنيات الإقناع والتكرار، وكذلك فإن التأثير المتزايد للفاعلين، مثل النخب ومجموعات المصالح والمؤثرين (الإنترنت)، يبدو جلياً على الرأي العام، ولكنه في الغالب يظهر من خلال الحضور الطاغي في وسائل الإعلام التقليدية والجديدة.

هذا الإدراك المشوه لصورة العربي والمسلم يعود في الحقيقة إلى جهل الغرب بخصائص العرب وحضارتهم ولغتهم وجهله بواقع العالم العربي، أو محاولات اختزاله في قضايا التديّن والتحديث، أو قضايا المرأة والحريات الفردية. وعلى العكس من هذا الإمام بالواقع العربي وعدم المعرفة الحقيقية بخصائصه الثقافية والتاريخية، فإن الجنوب على دراية كبيرة بالشمال، وذلك بفضل الأجيال من النخب التي تعلمت الكثير في المدارس والجامعات الغربية. هذه المعرفة التي تراكمت عبر التاريخ الحديث خلقت رصيماً معرفياً هائلاً حول الغرب في المدارس والجامعات العربية والإسلامية، في حين أن الصورة المجازية المشوهة عن العرب والمسلمين أدت إلى تشكيل تيار عُرف بإيمانه بما يسمى بـ«صراع الحضارات»، الذي رسم خطوطاً وهمية قسمت الحضارات الإنسانية، وأدت إلى صراعاتها في ظل تنامي صعود جماعات وتنظيمات إرهابية تعود في نشأتها وتمدها إلى دوافع غريبة لإذكاء هذا الصراع.

يجدر بالذكر أن أحد المحركات الأساسية للرأي العام الأمريكي يتجلى في تمثيلات الخطر؛ التي تتغلغل في الوعي الجمعي تحت تأثير الإعلام والخطاب السياسي لتظهر بمبالغات جماعية تجاه الآخر في منطقة الشرق الأوسط. كذلك تظهر استطلاعات الرأي العام حالة الهوس والتوجس الكبير من الخطر الإيراني، بمعنى أن حالة التنافس الإقليمي والتصادم مع إيران (خاصة من

طرف الكيان الإسرائيلي) تؤثر بعمق في تمثيلات الرأي العام الأمريكي. وتعكس حالة التوجس أبعاداً أخرى، أو لها قدرة النخب الأمريكية والإسرائيلية على تمرير مواقفها للعامة، بالإضافة إلى تشارك الشعبين في كراهية ذات العدو.

تخلق تمثيلات الخطر، كما تظهر استطلاعات الرأي العام، ترسيخاً للأفكار السلبية والخوف من الآخر بجانب الفوقية العرقية ورفض التعايش، من ثم فإن التغذية الإعلامية والسياسية لتمثيلات الخطر لدى الرأي العام تدفعه عفويّاً للموافقة على الانتهاكات الحقوقية للجيش الأمريكي في دول الشرق الأوسط (العراق)، والموافقة على دعم الأنظمة الاستبدادية، وتعزيز أنظمة الرقابة على المهاجرين العرب والتضييق عليهم.

على الرغم من أن المسلمين يشكلون نسبة تتراوح بين واحد وثمانية في المئة فقط من سكان مختلف البلدان الغربية، فإن وجودهم ذاته أصبح من بين القضايا الحاسمة في العصر الشعبي، حيث أدى إلى تقسيم اليسار واليمين على نحو صارخ. ومع أن الأحزاب اليمينية الشعبية تختلف اختلافاً كبيراً حول السياسة الاقتصادية والاجتماعية، ولكن كل حزب شعبي يميني رئيسي تقريباً يؤكد الاعتراضات الثقافية والدينية على الهجرة المسلمة على وجه التحديد، فضلاً عن الزيادة الديمغرافية في نسبة المواطنين المسلمين بصفة عامة.

في ذات السياق، تتبلور مواقف الرأي العام من خلال مؤثر التحالف أو التعاطف مع قضايا وطنية أو إقليمية أو دولية بعيدة عنهم جغرافياً أو فكرياً وأيديولوجياً، وللعامل الاجتماعي دور في أوقات الأزمات وعند توفر معطى «تمثيلات الخطر». تتفاعل مختلف العوامل فيما بينها لتنتج التوجهات الكبرى للرأي العام،

حيث تتكوّن الآراء السلبية أو الإيجابية من القضايا الأمنية والهوية حسب ارتفاع أو تراجع مستويات الخطر.

بقدر ما يتأثر بالسياق السياسي وتمثلات الخطر المشترك والتعاطف الجمعي مع عدد من القضايا (الصراع/ الهوية/ الإرهاب..)، فالرأي العام يمثل آلية لاتخاذ القرار لدى المواطن العادي بخصوص قضية مشتركة، وهو ما يفسّر حالة التشابك بين عدة عوامل؛ أبرزها السياق، والأفكار النمطية المتداولة، والمعتقدات، والمشاعر، والدعاية الأيديولوجية، وغيرها. ومن ثم فاستطلاعات الرأي تكشف عن التفكير المشحون بتراكمات معرفية ومشاعرية متداولة ومترسّخة عفويّاً في شخصية الفرد بحكم انتمائه وإيمانه بالهوية الاجتماعية الجماعية. وبناء عليه فاستطلاعات الرأي تعبّر عن حالة توافق ملايين المواطنين على مستوى المواقف والتقييم لقضية ما، بالرغم من أن مسار صناعة القرار «المواطني» يخضع لتأثيرات الإعلام والمجتمع المدني والسياسيين وغيرهم من المؤثرين.

كما سبق أن ذكرنا فإن اتخاذ القرار خلال استبانات سير الآراء يتأثر بخطاب وتوجهات القيادات المؤثرة (سياسية/ اجتماعية/ مذهبية/ عشائرية..). واستثناساً بمقاربة هابرماس (Habermas) المتعلقة بالفضاء العام فإنّ صناعة الرأي العام في المنطقة العربية وحولها ما زالت تخضع للوساطة والتأثيرات الخارجية بسبب صعوبة الوصول إلى المعلومات الكافية⁸²، فيتحكم في الفضاء العام القيادات المؤثرة والفئات الأقوى اجتماعياً، بمعنى أن الفئات التي تعاني الإقصاء مثل المهاجرين أو صعوبات الاندماج، والنساء، أو المهمشين في المنطقة العربية، تغيب أصواتهم وآراؤهم. وتدور فكرة

⁸² Lynch, M. (2006). Voices of the new Arab public: Iraq, Al-Jazeera and Middle East politics today. New York, Columbia University Press.

الوساطة حول صعوبة تعبير الفئات الأضعف عن مواقفها أو هوياتها، لتصبح حالياً مواقع التواصل الاجتماعي البديل والفضاء العام الافتراضي، حيث يمكنهم التأثير في الرأي العام⁸³.

تتناول استطلاعات الرأي العام العربية مستويات الثقة والمواقف الوطنية من الدولة، فتركز على تمثيلات الناس لمؤسساتها وأجهزتها الأمنية وطرق تسييرها للشأن العام. ومن ثم، تتساءل استطلاعات الرأي خلال سنوات ما بعد 2011 عن هوية الدولة السياسية والمؤسسية لأنها ترصد المواقف الشعبية من القيم الحاكمة للمشهد السياسي «الجديد». يجدر بالذكر أن الديناميات المحركة للاستطلاعات يدور أغلبها حول الدفع بالدولة نحو مسؤولياتها من ناحية أولى، والكشف للمواطن عن حالة التخاذل التي تعيشها الدول ما بعد انتفاضات الربيع العربي، من ناحية أخرى. نجد أن الديناميات المتحركة في الاستطلاعات، بشكل خفيٍّ ومحتجب، تتمثل في إعادة التذكير بوظائف الدولة «القوية»، وتوجيه الشعوب للمطالبة بعلوية المصلحة العامة وتوفير الخدمات العامة، وترسيخ رؤية استراتيجية للتنمية بجانب جدوى الفعل السياسي. ومن ثم فالظهور العلني لمظاهر عجز الدولة في أغلب استطلاعات الرأي العربية يؤكد الخلل الموجود في السياسات العامة وصناع القرار على حدٍّ سواء. في ذات السياق، استمرارية السخط الشعبي من قضايا بذاتها على مدى سنوات، مثل الفساد أو البطالة أو التضخم الضريبي، تحيل إلى انعدام الرغبة أو القدرة على الإصلاح لدى صناع القرار الحاليين. فالتحولات السياسية التي تعيشها أغلب الدول بقدر ما أدت إلى صياغة دساتير جديدة ومحاولات لترسيخ انتخابات نزيهة ومنظومة حكم تشاركية وديمقراطية،

⁸³ Lynch, M. Blogging the new Arab public. Arab Media & Society, V 1. <https://oi.is/m0pq>

لكن هذا التوجه العام نحو الديمقراطية- على ضوء استطلاعات الرأي العام- لم يفض إلى إصلاحات جذريّة قاطعة مع الممارسات الاستبدادية والزبونية السياسية، من ناحية أولى، كما لم يدفع إلى تغيرات اجتماعية واقتصادية إيجابية، من ناحية أخرى. تبرز النتائج السالف ذكرها أن السخط الشعبي لا يستهدف التجربة الديمقراطية المتعثرة بقدر ما يستنكر الاستحواذ الكامل للنخب (لوبيات الفساد...) على دواليب الدولة، وتقديمها لمصالحها على حساب الشعب. لذلك، يجدر بالذكر أن استطلاعات الرأي تكشف اختلال التوازن بين وهن مؤسسات الدولة وارتفاع مستويات الوعي الشعبي الجمعي بالكرامة والعدالة الاجتماعية وقيم الشفافية والمساءلة. من ثم بقدر ما ترصد استطلاعات الرأي تراكم الغضب والمواجهة بين المواطنين والدولة، بقدر ما تظهر الانفتاح المزدوج الحاصل (الدولة/المواطن) تجاه المجتمع المدني، ومن ثم فالتغيرات الراهنة في الوعي الجمعي والتركيبية الاجتماعية (ارتفاع معدلات الفقر والبطالة/ الثراء الفاحش / اختفاء الطبقة الوسطى..) تتمظهر من خلال إحصائيات استطلاعات الرأي.

تقدم نواتج السياسات نيوليبرالية وخيارات الدولة (تراكمات تاريخية)، لأنها توثق لمسارات تحوّل عميق وطويلة المدى حيث تحظى مواقف المواطنين من ممارسات السلطة بالأهمية القصوى. استطلاعات الرأي العام تمثل إنذاراً بحالة الغضب من أوجه الخلل التي تحرك الشارع العربي وتدفعه للمطالبة بالتغيير الجذري من خلال الحراك الاحتجاجي والحملات على مواقع التواصل الاجتماعي⁸⁴. باختصار، أظهرت استطلاعات الرأي العام مواقف المواطنين من درجات نجاح أو فشل الدولة الحديثة

84 محمود زكي، استطلاعات الرأي العام نافذة الحكومات على تطلّعات الشباب العربي، صحيفة العرب، 5

يناير/كانون الثاني 2020. <https://cutt.us/dfwSK>

في الالتزام بأدوارها. حالة الغضب الجمعي من الدولة (لبنان/ العراق/ تونس..) تعكس الخلل المترسّخ في أحد أبعاد الدولة أو جميعها، فهي تنذر بمشاشة المنظومة القانونية، أو النشاط الإداري البيروقراطي، أو اختلال الهوية الجماعية، أو انهيار أجهزة الرقابة والنظام العام⁸⁵.

من زاوية أخرى، ترصد استطلاعات الرأي العام العربية تمثيلات المواطنين لحقوقهم وواجباتهم، وتتساءل حول ظروف ممارسة المواطنة باعتبارها التزاماً بسيادة القانون وانخراطاً في الشأن العام. ويبدو جلياً أن الشعوب العربية، في مجملها، لديها وعي أكبر بحقوقها مقارنة بالواجبات، وهو ما يبرر استمرارية النظرة الأبوية للسلطة والدولة ومطالبتها بالحلول الفورية لمشاكل تتراكم منذ أكثر من نصف قرن. كما يبرر هذا الخلل في الوعي المواطني بشكل نسبي حالة العزوف السياسي وعدم الرضا الشعبي الذي يتحول أحياناً إلى مظاهرات وعصيان مدني وإسقاط الحكومات.

يجدر بالذكر أن استطلاعات الرأي العام في عدد من الدول العربية ما زالت تواجه مصاعب على مستوى تحديد العينة بشفافية، أو على مستوى محتوى الاستطلاع، وتتمثل المصاعب في غياب بيانات رسمية حول السكان، وهو ما ينتج عنه عدم المصدقية واستحالة اختيار العينة التمثيلية للمجتمع في كليته. بالإضافة إلى معوقات أخرى مثل إمكانية تهميش فئات اجتماعية من استطلاعات الرأي العام (النساء الريفيات/ المعاقين/ الأميين..). لصعوبة الوصول إليهم وارتفاع مستويات الأمية لديهم. كما تتأثر استطلاعات الرأي بنوعية النظام السياسي ومستويات انفتاحه

85 المرجع نفسه.

على نشاطات المجتمع المدني والمؤسسات الإحصائية أو البحثية التي تعمل خارج الدوائر التقليدية للسلطة؛ إذ تعتمد الدول ذات الأنظمة السلطوية إلى مراقبة الاستطلاعات وعرقلة عمليات الاستجواب، أو الوصول إلى المعلومات، فهي تحرص على التدخل والاطلاع وفرض الرقابة على محتوى الاستطلاع أو الجهة القائمة عليه⁸⁶.

بدأت تتبلور استطلاعات الرأي العام في المنطقة العربية كخطوة لفهمها وتمثلها كمصدر أساسي للشرعية السياسية، فهي تستبطن أشكالاً متقدمة وحديثة من المشاركة المدنية والتشارك في صناعة القرار. الإقبال المتزايد على استطلاعات الرأي العام عربياً تنبؤ بالانفتاح التدريجي على تقاليد الممارسة الديمقراطية الليبرالية، حيث يحق للأفراد إبداء آرائهم في الشؤون العامة خارج الدوائر التقليدية، مثل البرلمانات أو الاستفتاء أو الاقتراع، لذلك من المهم اعتبار استطلاعات الرأي آلية لخلق تواصل مستمر بين السلطة والمواطنين في علاقة تعاقدية تعلي من قيم المواطنة والديمقراطية والوعي الجمعي.

86 العيسوي، مرجع سابق.

الخلاصة

تعدد استطلاعات الرأي العام عربياً وغربياً المهتمة برصد التحولات السياسية والاجتماعية من خلال أصوات العامة في المنطقة العربية، فهي تتفاعل مع القضايا الأكثر تلامهاً مع الأجناس السياسية والدبلوماسية لحكوماتها من ناحية أولى، والمسائل الأكثر استجابة لضروريات الانتقال الديمقراطي والحراك المدني، من ناحية أخرى. وقد حاولت الورقة البحثية الإلمام بشكل مختصر بأبرز نتائج استطلاعات الرأي حول المنطقة العربية، مع الحرص على تحليل عميق لطرق تشكل المواقف الجماعية أو سياقاتها. يجدر بالذكر أنه من خلال هذا البحث تم التأكيد أن الرأي العام مفهوم ومجال إنتاج معرفة ضبابي وواسع، وذلك ما يعزز الاعتقاد بتشابك العوامل المؤثرة ضمنه. فاستقراء الرأي العام يجب أن يراعي تشابك العوامل النفسية والاجتماعية والسياسية، بالإضافة إلى التأثير الأيديولوجي في صناعة القرار الفردي والجماعي، وهو ما يعني دحض العقلانية الصرفة في مسارات تشكله. ولا شك أن الجانب الإحصائي والإجرائي لاستطلاعات الرأي يخلق نوعاً من التقارب بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية الصحيحة. فأساليب تجميع المعطيات وتوصيفها رقمياً تتوالف مع محتوى الأسئلة المطروحة، وطرق تحليل مضامينها، حيث تتكامل الأساليب الإحصائية مع أنظمة المعتقدات والتنشئة الاجتماعية والمواقف السياسية وغيرها.

رصدت استطلاعات الرأي مواقف وتمثيلات المجتمعات العربية والغربية لقضايا المنطقة العربية، في سنوات ما بعد 2011، التي بدورها تحظى باهتمام كبير من قبل النظريات السياسية المعاصرة. تظهر استطلاعات الرأي حالة «التهافت»/ «الإقبال» اللافت على إنتاج المعرفة وبلورة الشخصية السياسية والاجتماعية النهائية

والعامة لمنطقة الشرق الأوسط.

تعمل استطلاعات الرأي على تفكيك ديناميات الحراك داخل الشارع العربي من ناحية أولى، ورصد عوامل التعايش والتصادم مع المسلمين لدى الشعوب الغربية، من ناحية أخرى. بقدر ما أكد مسار التحليل لهذه الورقة البحثية علاقة الترابط بين الرأي العام والسياقات السياسية الوطنية والإقليمية والدولية المتعلقة بالمنطقة العربية، بقدر ما أظهر الانشغال الفعلي لصناع القرار والممولين والمؤسسات البحثية والصحفية بفهمها وإنتاج «قوالب معرفية» حولها. من زاوية أخرى، عرفت استطلاعات الرأي حول المنطقة العربية خلال العقدين الماضيين تنوعاً على مستوى مؤسسات سير الآراء ومجالات الاهتمام، وهو ما خلق نطاقات أوسع لمستويات أعلى من الحياد والموضوعية، ومن ثم أثر ارتفاع مستويات الوعي الجمعي في المجتمعات العربية أو الغربية، وحالة الاشتراك في رغبة اكتشاف الآخر «العربي»، وتحسين الصورة «الأنا العربي»، ما بعد 2001 ثم 2011. رغم أن هذه التحولات السياسية والتاريخية أحييت حالة صدام بين الغرب والمسلمين، وخلقت توجهات نحو الانفتاح السياسي والدمقرطة داخل المنطقة العربية ذاتها، يبدو جلياً أن موضوع استطلاعات الرأي يستلزم قراءة عميقة ومتعددة الأبعاد لطرق التأثير في الرأي العام، كما تستوجب التساؤل حول الأجندات البحثية والسياسية-الأيديولوجية (العلنية والخفية) لمؤسسات سير الآراء والممولين تجاه المنطقة العربية.

المراجع

أولاً: المراجع العربية

- إسلام حلايقة، استطلاعات الرأي في الانتخابات التركية: التأثيرات الأيديولوجية والتوظيف السياسي، مركز الجزيرة للدراسات، 27 يناير/كانون الثاني 2016. <https://0i.is/xmSq>
- أشرف العيسوي، وسائل التواصل الاجتماعي: تأثيرات متنامية وأدوار شائكة في العالم العربي، مركز تريندز للبحوث والاستشارات، 25 مارس/آذار 2020. <https://0i.is/8G7J>
- أماني المهدي، المجال العام من الواقع الفعلي إلى العالم الافتراضي: معايير التشكل والمعوقات، المركز الديمقراطي العربي، 20 مارس/آذار 2018، الاطلاع بتاريخ 31 أكتوبر/تشرين الأول 2020. <https://0i.is/sL99>
- أمين بن مسعود، حفريات معرفية في مفهوم المجال العمومي، مجلة علوم الإعلام والاتصال، 2018. <https://diraset.com/node/31>
- أيمن منصور ندا، البلدان العربية والإسلامية في استطلاعات الرأي العام الأمريكية (1935-2018)، المستقبل العربي، العدد 478.
- ديفيد بولوك، نظرة مشوهة إلى قلوب وعقول العرب، معهد واشنطن، 2014. <https://0i.is/8Sz2>
- ليلي أحمد جرار، الفيس بوك والشباب العربي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012.
- محمد ماضي، أمريكا تخسر معركة «العقول والقلوب» في العراق، SWI swissinfo.ch الوحدة الدولية التابعة لهيئة الإذاعة والتلفزيون السويسرية، 23 يونيو/حزيران 2004. <https://0i.is/3JSQ>

- محمود زكي، استطلاعات الرأي العام نافذة الحكومات على تطلّعات الشباب العربي، صحيفة العرب، 5 يناير/كانون الثاني 2020.

<https://0i.is/ZU4y>

- مركز الناطور للدراسات والأبحاث، مركز بيغن السادات للدراسات الاستراتيجية -الجمهور الأمريكي والنزاع الإسرائيلي الفلسطيني 2000-2020، 11 مايو/أيار 2020. <https://0i.is/N3FF>

- المؤشر العربي 2020، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

<https://0i.is/5IWI>

- موقع عرب 21، استطلاع: جيل أميركي جديد أكثر تعاطفاً مع الفلسطينيين، 8 يوليو/تموز 2020. <https://0i.is/nmzC>

- هاشم هلال، جان جاك روسو موسوعة ستانفورد للفلسفة، 11/سبتمبر/أيلول 2020، موقع حكمة من أجل اجتهاد ثقافي وفلسفي، الاطلاع بتاريخ: 30 أكتوبر/تشرين الأول 2020.

<https://cutt.us/xEQWl>

- هشام بشير، دراسة نظرية في طبيعة وطرق استطلاعات الرأي العام، مركز دراسات الدول النامية، 2012.

<https://0i.is/0Mq4>

ثانياً: المراجع الإنجليزية

- Carrol Doherty, A new perspective on Americans' views of Isrealis and Palestinians, PEW research Center, 24 April, 2019. <https://0i.is/blkc>.

- Carroll J.Glynn & al, Psychological Perspectives on Public Opin-

ion, Public Opinion, third edition, Routledge , 3 September 2018.

- Charles Harb, The Arab Region: Cultures, Values and Identities, Handbook of Arab American Psychology, Mona Amer & Germinie Award (ed) , Francis & Taylor, Routledge, January 2016. <https://Oj.is/bntm>.

- Dina Smeltz & al, Rejecting Retreat, The Chicago Council on Global Affairs, September 6, 2019. <https://Oj.is/uzU2>.

- E Dionne & Thomas Mann, Polling and Public Opinion: The good, the bad, and the ugly, Brookings, 1 June 2003. <https://Oj.is/Gulg>

- ESOMAR/WAPOR Guideline on Opinion Polls and Published Surveys, August 2014. <https://Oj.is/fXbS>.

- Eva Mayerhoffer & al, Public Opinion Polls as an Input Factor of Political Communication, Political Communication Cultures in Europe, Pfetsch (ed), Palgrave Macmillan, 2014. <https://Oj.is/W4QM>

- Gallup Public Opinion 2020, Public Sympathy Toward Isreal/ Palestinians, March 2020. <https://Oj.is/Jluw>.

- Hainmueller, Jens, and Daniel Hopkins. 2015. The Hidden American Immigration Consensus: A Conjoint Analysis of Attitudes toward Immigrant. American Journal of Political Science 59: 529–48. <https://Oj.is/Sy0X>.

- James A. Stimson, Tides of Consent: How Public Opinion Shapes American Politics, Cambridge University Press, 2004.

- Jelke Bethlehem, Understanding Public Opinion Polls, Taylors &

Francis Group, 2018.

- John G.Geer (ed), Public Opinion and Polling Around the World: A Historical Encyclopedia, Library of Congress Cataloging in Publication Data, Oxford-England, 2004.

- John Mearsheimer, Bound to fail: The Rise and Fall of the Liberal International Order, International Security, Vol43, N 4, Belfer Center, 2019. <https://www.belfercenter.org/sites/default>

- Kiran K.Phull, Polling and the Pursuit of Arab Public Opinion, Thesis dissertation, the London School of Economics and Political Sciences, 2019. <https://0i.is/p764>.

- Krippendorff, Klaus.. The Social Construction of Public Opinion. Kommunikation über Kommunikation. Theorie, Methoden und Praxis. Festschrift für Klaus Merten, 2005. <https://0i.is/Q7v0>

- La Vopa, The Birth of Public Opinion, The Wilson Quarterly, Vol 15, No 1, Winter 1991. <https://www.jstor.org/stable/40233153>

- Lynch, M. Blogging the new Arab public. Arab Media & Society, V 1. <https://0i.is/m0pq>.

- Lynch, M.. Voices of the new Arab public: Iraq, Al-Jazeera and Middle East politics today. New York, Columbia University Press, 2006.

- Michael Korzi, Lapsed Memory? The Roots of American Public Opinion Research, Polity Journal, The University of Chicago Press Journals. Vol 33, N 1, Autumn 2000. <https://0i.is/aVlj>

- Nahal Sahgal & Besheer Mohamed, In the US and Western Europe, people say they accept Muslims, but opinions are divided on Islam, FACTTANK, Pew Research Center, October 8, 2019. <https://0i.is/kzhl>.
- Patricia Moy & Brandon J Bosch, Theories of Public Opinion, Handbook of Communication Science, Paul Copley & Peter Schultz, Sociology Department, Faculty Publications, Vol 1, 2013. <https://0i.is/VNps>.
- Pew Public Opinion 2017, Across U.S and Western Europe, PEW Research Center. <https://0i.is/8o56>
- Rasoul Etesami & al, Evolution of Public Opinion under Conformist and Manipulative Behaviors, Vol 50, Issue 1, July 2017. <https://0i.is/8qdU>.
- Said, E. W. The Arabs and the West: The legacy of the past. Balthat: The West in Arab Societies: Representation and Interaction 5 ,1999.
- Said, E. W. Covering Islam: How the media and the experts determine how we see the rest of the world ,2nd edition. New York : Vintage Books, 1997.
- Shadi Hamid & Adham Sahloul, How foreign policy factors for American Muslims in 2020, Brookings Center, 3 April 2020. <https://0i.is/e6T9>
- Tom Porter, Chomsky on 'Bought' Elections, 'Superficial' Media and Other Threats Archives, Bowdoin, 18 October 2016. <https://0i.is>

is/jh94

- Varisco, D. M. (2005). Islam obscured: The rhetoric of anthropological representation: Palgrave Macmillan.
- Yildirim, A.Kadir, and Meredith McCain. The Aftermath of the Arab Spring Protests: What a Public Opinion Survey Tells Us. Policy brief. Rice University's Baker Institute for Public Policy, 23 September 2019. <https://0i.is/2geA>
- Zayani, Mohamed. The Challenges and Limits of Universalist Concepts: Problematizing Public Opinion and a Mediated Arab Public Sphere. Middle East Journal of Culture and Communication 1.2008.



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات Strategic Fiker Center for Studies

مركز مستقل غير ربحي، يُعِدُّ الأبحاث العلمية والمستقبلية، ويساهم في صناعة الوعي وتعزيزه وإشاعته من خلال إقامة الفعاليات والندوات ونشرها عبر تكنولوجيا الاتصال، إسهاماً منه في صناعة الوعي وتعزيزه وإثراء التفكير المبني على منهج علمي سليم

الرسالة

المساهمة في رفع مستوى الوعي الفكري، وتنمية التفكير الاستراتيجي في المجتمعات العربية

الأهداف

- الإسهام في نشر الوعي الثقافي.
- قياس الرأي العام إقليمياً ودولياً تجاه قضايا محددة.
- التأصيل العلمي للقضايا السياسية المستجدة.
- مواكبة المتغيرات العالمية والعربية، من خلال إعداد الأبحاث وتقديم الاستشارات.

الوسائل

- إعداد الدراسات والأبحاث والاستشارات والتقارير وفق منهجية علمية.
- التواصل والتنسيق مع المراكز والمؤسسات البحثية العربية والعالمية.
- تناول قضايا التيارات الفكرية المتنوعة بما يؤصل لضروريات التعايش السلمي، والمشاركة الفاعلة.
- إقامة المؤتمرات والندوات الفكرية وحلقات النقاش.
- رعاية الشباب الباحثين المتميزين.

مجالات العمل

تتنوع مجالات العمل في المركز وتشمل ما يلي:

1. الأبحاث والدراسات:

- حيث يقوم المركز على إعداد الدراسات والأبحاث وفق المنهجية العلمية في مجالات تخصص المركز، وهي:
- الدراسات السياسية.
 - الدراسات المتخصصة في التيارات والأطيف والفكرية.
 - الدراسات الحضارية والتنمية.
 - دراسات الفكر الإسلامي.

2. الاستشارات وقياس الرأي:

يسعى المركز لتقديم الاستشارات والحلول في مجالات اهتمام المركز للجهات الرسمية والأهلية، وذلك من خلال قياس الرأي العام تجاه القضايا الفكرية والأحداث السياسية والاجتماعية، بالتعاون مع كادر علمي مُحترف ومُتعدّد المهارات.

3. النشر:

يسهم المركز في نشر الدراسات والأبحاث عبر وسائل النشر المتنوعة.

عضوية المركز في المنظمات العالمية:

MMIRA Mixed Methods
International Research Association

WAPOR
WORLD ASSOCIATION FOR PUBLIC OPINION RESEARCH

GlobalResearch
Centre for Research on Globalization
globalresearch.ca / globalresearch.org



TTCSP
THINK TANKS AND CIVIL SOCIETIES PROGRAM
UNIVERSITY OF PENNSYLVANIA

استطلاعات الرأي العام

واقع المنطقة العربية وقضاياها

تمثل استطلاعات الرأي حول المنطقة العربية امتداداً لسيرورة بناء المعرفة حول شعوب لطالما كان تقييم سلوكياتها ودراستها من زاوية نظر استشرافية ثم استعمارية وما بعد كولونيالية، وقد خلقت ثورات/انتفاضات الربيع العربي لحظة تحولية في وعي دوائر صناعة المعرفة بخصوص المنطقة العربية أو شعوبها، التي تأثرت بالضرورة بسياقات تغير الأنظمة السياسية وتزعزع ديناميات القوة التقليدية. وقد أسهم الانفتاح السياسي والميداني أمام استطلاعات الرأي في إعادة بلورة المعرفة حول المنطقة العربية لدى المؤسسات الغربية والعربية في ذات الوقت. لذلك، تهتم هذه الدراسة البحثية برصد نتائج سبر الآراء لمؤسسات غربية وعربية، مثل استطلاعات الرأي لمؤسسة بيو والمؤشر العربي، حول قضايا المنطقة العربية خلال هذه السنوات الأخيرة (الإسلام / التحدين / الأوضاع الاجتماعية/ المشاركة السياسية). وفي ذات السياق، تركز الدراسة البحثية- في الإجابة عن السؤال: ما توجهات الرأي العام التي تنتهجها استطلاعات الرأي العربية والغربية حول المنطقة العربية وشعوبها ما بعد 2011؟- على مجموعة من المباحث الرئيسية: فأولاً تعرض للطرق العلمية والمرجعيات الكبرى المعتمدة دولياً لصناعة الرأي في دوائر مؤسسات سبر الآراء، ومن ثم تناول في مبحثين المنطقة العربية كموضوع لإنتاج المعرفة في مؤسسات استطلاع الرأي الغربية والعربية على حد سواء ما بعد 2011.

مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات
Strategic Fiker Center for Studies

+90 530 514 10 47
+90 212 27077 79
fikercenter

www.fikercenter.com
info@fikercenter.com
publish@fikercenter.com

